مجلة جامعة الخليل للبحوث-ب
المجلد (8)، العدد (2)، ص (223-249)، 2013

الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

جماليات المكان في رواية (سوق الدير) للكاتب محمد نصار

*ماجد محمد النعامي
أستاذ الأدب والنقد المشارك – الجامعة الإسلامية

الملخـــص:

يعالج البحث جماليات المكان في رواية (سوق الدير) للكاتب محمد نصار، ويتعامل مع الظاهرة المكانية في الرواية التي كان لها حضورها فيها ، ويقدم تعريفاً لمفهوم المكان لغةً و اصطلاحاً ، ويكشف عن المكان في الرواية مثل (القرية، و المدينة، و الشارع، و البيارة، و الدكان ...) مبيناً الدلالات المختلفة للمكان الفلسطيني ، وموضحاً دور المكان في البناء الفني للرواية ، وكاشفاً عن التقانات السردية وأثرها في إبراز جمالية المكان .

Abstract :

This study addresses aesthetically the "space" in Mohammed Nassar's novel "Souk Al-Deir". The study deals with the spatial phenomenon that was heavily present in the novel and provides a definition of the concept of "space". It examines the imagery associated with "space" in the novel showing the various connotations of "space" and explaining its role in the novel's artistic structure and the narrative techniques and their role in illuminating the aesthetics of "space" in the novel.

* بريد الباحث الإلكتروني : mnamme@iugaza.edu.ps

المقدمة:

لقد فرضت المعاناة التي يكابدها الفلسطيني – ومازال – حضوراً مميزاً في الرواية الفلسطينية، حيث استشعر الفلسطيني ذو الوعي الثاقب توغل العدو الصهيوني في الأرض الفلسطينية إبان عهد الانتداب البريطاني الذي وفر كل وسائل الدعم للصهاينة لتنفيذ مخططاتهم المسمومة، ولقد تحول هذا الاستشعار إلى يقين كشفت عنه النكبات التي حلت بالفلسطيني الذي سلبت منه أرضه وشتت عنها، ولهذا أصبحت الأرض بصورة خاصة تشكل هاجسه الأول، حيث تحولت إلى جزء لا يتجزأ من كيانه وظلت حاضرة في تفكيره ووجدانه وحياته.

وللمكان في رواية (سوق الدير) حضور واضح بحيث يعد الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، والذي تتشكل فيه الأحداث وتتداخل وتتصارع، ورغم التفات عدد من الباحثين إلى دراسة جوانب مختلفة من الأدب الفلسطيني إلا أن هذه الرواية لم تحظ بدراسة مستوعبة شاملة تكشف عن أبعاد مكوناتها وتقنياتها المتنوعة، وأساليب السرد المختلفة التي وظفها الكاتب،وهي بحاجة إلى دراسة متعمقة تحاول الكشف عن أبعاد هذا العمل الأدبي وفنياته.ومن هنا تأتي هذه الدراسة التي تسعى إلى تحقيق جانب من تلك الغاية، فهي تعنى بتوضيح مفهوم المكان لغة واصطلاحا، وأهمية المكان في العمل الروائي، وأنواع المكان في الرواية محل الدراسة، وعلاقة المكان بالزمان والشخصيات والأحداث، وأثر ذلك في بناء الرواية.

وانطلاقا من خصوصية المكان في الرواية الفلسطينية برزت أماكن متعددة في رواية سوق الدير، تكشف عن حياة الفلسطيني، فالقرية، والمدينة، والبيت، والمسجد، والسوق، والدكان، والحافلة، والشارع، والبيارة، تتفاعل فيها الشخصيات وتتشابك الأحداث وتمتزج مع الزمن في علائق وثيقة تكشف عن تحول تلك الأماكن إلى تعبير رمزي عن القضية الفلسطينية، وشواهد على معاناة الفلسطينيين وصبرهم وجهادهم، وعطائهم المستمر، وثورتهم وتمردهم وتصديهم لطغيان الصهاينة ومؤامرة الانتداب البريطاني من قبل، وبقائها مراكز إشعاع للأمل في التحرر والخلاص.

ملخص موجز للرواية

رواية (سوق الدير) للكاتب محمد نصار رواية تسجيلية ، تدور أحداثها حول عائلة فلسطينية (عائلة أبو حسين) من قرية (المبروكة) شمال قطاع غزة إبّان عهد الانتداب البريطاني لفلسطين، اضطرتها الظروف الاقتصادية الصعبة إلى أن يترك الوالد (أبو حسين) عائلته في القرية طلباً لسعة الرزق في مدينة يافا، وكان يعود لها بين الفينة والأخرى محملاً بنعم لم تكن تعرفها العائلة من قبل، و بعد فترة وجيزة اصطحب الوالد ولده للمدينة؛ ليكون عوناً له في عمله في إحدى بيارات يافا .

انخرط (أبو حسين) في العمل المقاوم ضد الإنجليز من خلال صديقه (سالم) الذي عرفه على مجموعة من المقاومين في المدينة . ترك حسين العمل مع والده في البيارة، وذهب ليعمل في دكان (أبي درويش) بسوق الدير في مدينة يافا وهناك تعرف على صديقه الأستاذ (يوسف) الذي كان مثالاً للطبقة المثقفة، ومن خلال مجالسته له تعرف (حسين) على ما يدور حوله من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية كان يمر بها المجتمع الفلسطيني في ذلك العهد، وأصبحت نظرته للحياة والمجتمع تختلف عما كانت عليه في القرية .

استطاع الكاتب من خلال سرده لأحداث الرواية أن يكشف لنا عن أوضاع الفلسطينيين السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة .

كما أكدت الرواية دور المكان الفلسطيني، فكانت القرية لها خصوصيتها، كما أن للمدينة خصوصية أخرى، وقد وضح ذلك من خلال أحداث الرواية .

المكان وأهميته في العمل الروائي

وردت كلمة المكان تحت مادة (ك . ا . ن) وفيه) المكان): المنزلة يقال : هو رفيع المكان. والموضع (ج)أمكنة. (المكانة): المكان بمعنييه السابقين [1] والمكان هو حاضن الوجود الإنساني [2] وهو من أكثر الظواهر وأقدمها ارتباطا بالذات الإنسانية [3] ويشير المكان إلى " حيز ما يحيط بالإنسان، ويطلق عليه اسما معينا، ويتطلب حتما صفات ومعالم محددة [4] . والمكان في الرواية هو مكان مجازي،إذ يظل المكان فيها هو " المكان المتخيل، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخييل الروائي وحاجاته "[5] والمكان عند باشلار " هو المكان الأليف. وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات الطفولة. ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور" [6] فالمكان الروائي يميل إلى كل مشهد أو بيئة طبيعية أو اصطناعية، ليشمل بذلك البنايات بمختلف أنماطها ووظائفها ومحتوياتها من قطع الأثاث أو الديكور والأدوات، كما يشمل الطرقات والشوارع وما تضمنته من محال تجارية وعربات وسيارات، كما يشمل أيضا الوقت أو الزمن وتقلباته، وأحوال الطقس، ويشير كذلك إلى أجواء المكان من صخب أو هدوء أو أضواء أو ظلمة أو روائح [7] .

ولا يراد بالمكان في الرواية " دلالتها الجغرافية المحدودة، المرتبطة بمساحة محدودة من الأرض في منطقة ما، إنما يراد بها دلالتها الرحبة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها ومتطلباتها ، وتقاليدها وقيمها .

فالمكان بهذا المفهوم كيان زاخر بالحياة والحركة، يؤثر ويتأثر، ويتفاعل مع حركة الشخصيات وأفكارها كما يتفاعل مع الكاتب الروائي نفسه [8] ويمثل المكان واحدا من أهم عناصر الرواية، وهو شرط من شروط العمل الروائي، فلا يكاد يخلو من الإشارة إليه أو التصريح به، وبالإضافة إلى كونه الخلفية التي تحتضن الشخصيات وتقع فيها الأحداث، فإنه يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله [9] . والمكان عنصر يصعب تصور العمل الروائي خاليا منه، لصعوبة تصور وجود أحداث تدور في (اللا مكان) أو شخصيات تعيش خارج حدود المكان، ولهذا يرى البعض أن العمل الروائي" حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته" [10] .

كما يستمد المكان أهميته في العمل الروائي من أهميته في الواقع الإنساني، تلك الأهمية الناتجة عن الارتباط اللصيق بين " المكان " و" الإنسان "، منذ بدء الخليقة، حيث يمكن القول:" إن للأشياء تاريخا مرتبطا بتاريخ الشخصيات .....إن الإنسان الحقيقي يتألف من الجسم ومن الأشياء التي تخص الجنس البشري، كما يخص العيش هذا النوع من الطيور "[11] .

والمكان في الرواية لا يتشكل ولا يأخذ شكله الروائي إلا من خلال ما يرتبط به من أحداث. " وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ... وعلى هذا الأساس فإن بناء الفضاء الروائي يبدو مرتبطاً بخطة الأحداث السردية، وبالتالي يمكن القول بأنه المسار الذي يتبعه اتجاه السرد، وهذا الارتباط الإلزامي بين الفضاء الروائي والحدث هو الذي سيعطي للرواية تماسكها وانسجامها .

.... إن المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث " [12] .

كما لا يمكن لنا أن نتخيل وجود رواية خارج المكان، لما له من أثر واضح على سلوك الشخصيات "

وتحركها في العمل الروائي كما أن له دورا في توجيه الحوادث، واختيار نوعية العمل الذي يؤديه كل فرد داخل العمل الروائي" [13]، فالأدب الروائي يوظف المكان ،ويصف أمكنة متعددة، ومناظر طبيعية، كما يحلق –عبر الخيال – إلى مناطق مجهولة، ويوهمنا عبر القراءة بأننا نقطنها ونعيش فيها، وكأن ما يبقى من آثار قراءتنا لأي عمل أدبي روائي يمثل – غالبا – في أمرين رئيسيين : المكان والشخصية التي تضطرب وتتحرك في ذلك المكان .[14] و يختلف المكان من رواية لأخرى من حيث ضيقه وسعته، فأحياناً يضيق المكان، وفي هذه الحالة تصبح علاقة الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه أكبر، والصلة بينهما تكون وثيقة " [15] .إن الروائي البارع يستطيع تشكيل واقع روايته، وليس المقصود به الواقع الحقيقي، بل ما يتمكن الأديب من بلورته في مصغر رمزي تشع فيه المعاني، " هذا المصغر لدى القاص إنما هو تكثيف للتفاصيل التي ينتقيها الكاتب انتقاءً حذراً بارعاً، أشبه بانتقاء الشاعر للألفاظ والصور، وإذ نكون في بحر متلاطم من التجارب، وفي بحر متلاطم من الحياة، يأخذ الكاتب بيدينا إلى الجزر التي نرى فيها بعض ما نحن فيه [16] . ومما لاشك فيه أن الأداة الرئيسة للتشكيل المكاني في الرواية هي اللغة، "فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة " [17] .

أنواع المكان

لقد مال النقاد إلى تقسيم المكان تقسيمات عدة منها على سبيل المثال :

– المكان الجغرافي: ويعني " مثول الكلام في مظاهر مختلفة وأماكن متعددة: الجبال، السهول، السواحل، الهضاب، الوديان، ..... " [18].

– المكان المجازي: وهو ساحة لوقوع الأحداث، لا يتجاوز دوره التوضيح ولا يعبر عن تفاعل الشخصيات والحوادث.

– المكان الهندسي: الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، تنقل أبعاده البصرية، فتعيش مسافاته و تنقل جزئياته من غير أن تعيش فيه.

– المكان كتجربة: ويعبر عن معاناة الشخصيات، ويحمل أفكارها ورؤيتها للمكان، وتثير خيال المتلقي، فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً متميزاً.

– المكان المعادي: وهو المكان المعبر عن الهزيمة واليأس، والذي يتخذ صفة المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله، وعنفه الموجه لكل من يخالف التعليمات، وتعسفه الذي يبدو كطابع قدري، ومثاله: السجون، أمكنة الغربة، المنافي ...وغيرها، وهذا المكان ينقصه دائما ردة الفعل الإنساني، لذا فقد كان ضداً للمكان الرحمي أو المكان الأمومي [19] .ومما لاشك فيه أن المقام لا يتسع لتناول المكان من جميع جوانبه ،لذا سيتم التركيز على ربط خصائص المكان الجغرافية بالخصائص النفسية والاجتماعية والتاريخية، كذلك سيتم الإشارة إلى وظيفة المكان الرمزية، التي تفيد في بناء شخصية الفرد، فكثيراً ما تكون الخبرات المتكررة في مكان معين تساعد في تصوير إحساس ما بالاستمرارية، وشعور ما بالانتماء لمكان معين يجاوز الأفراد وظروفهم الخاصة المباشرة، ولا يشترط أن تكون الأماكن التي تدعم إحساس المرء العميق بالهوية هي الأماكن التي يتحرك المرء فيها وينشط الآن، بل يمكن أن تكون أماكن تنتمي إلى الماضي، أو تنتمي إلى الحاضر، وهو بعيد عنها الآن [20] .

ونلمس ذلك من خلال حنينه إليها أو تمنيه الفناء فيها، أو العودة بالذاكرة إليها، أو من خلال أحلام اليقظة، فكل ذلك يدفع في تأكيد هوية المرء، وإحساسه بذاته، وترسيخ ارتباطه بالمكان.

ولا يخفى علينا أن للمكان في التجربة الفلسطينية خصوصية تميزه عن غيره، فعلاقة الفلسطيني

بالمكان نابعة من إحساسه بالظلم والقهر والحرمان والألم والاغتراب الناتج عن الاقتلاع القسري من الأرض، وهذا يدفعه إلى الحلم الدائم المتجدد في العودة إلى أرضه.

وانطلاقا من خصوصية المكان، سيتم التركيز على أبرز الأماكن التي ورد ذكرها في رواية (سوق الدير) والتي كان لها دورها المؤثر في صياغة الأحداث، وفي نمو الشخصية وتفاعلها مع الأحداث.

وهنا لابد من التنويه قبل الخوض في الحديث عن هذه الأماكن إلى أن الراوي لم يقف أمام أي من الأماكن الواردة في الرواية بالوصف والتصوير لكل مكوناته ومعالمه إلا بالقدر الذي يسهم في تفعيل الحدث وتعميق دلالته وبالتالي فإن الأمكنة الواردة في الرواية لا تظهر معالمها الجغرافية بصورة بارزة، بقدر ما تظهر دلالتها، وقدرتها على تسيير الحدث وتعميقه، وتفاعل الأحداث وتشابكها في تلك الأمكنة .

القرية

تعتبر القرية من الأمكنة الدافئة التي حضنت الفلسطيني وشملته بحبها ورعايتها، لما تميز به أهلها من المودة والتراحم، والألفة والتوادد، وقد تجلى لنا ذلك بوضوح في هذه الرواية، حيث قدم لنا الراوي صورة إيجابية عن سكان القرى الفلسطينية إذا ما اعتبرنا أن قرية (المبروكة) تشكل أنموذجا لهذه القرى، وإن كان الراوي لم يقف كثيراً عند القرية، وإنما كان وصفه لها وصفاً عابراً، قصد من خلاله إعطاء دلالات معينة نذكر منها :

-دلالة الألفة والتلاحم وروح الوطنية التي يتحلى بها أبناء القرية، وقد كشف عنها من خلال ذكره للمناسبات المؤلمة التي يمر بها أبناء القرية :

" عند سماع الخبر خرجت " المبروكة " عن بكرة أبيها. جموع من الناس راحت تزحف لاستقبال الجثمان العائد متلفعا بالدماء " [21] " سواد حالك لف القرية بأهلها "[22] .

-كشف الراوي من خلالها عن صلف اليهود وبطشهم أبان عهد الانتداب البريطاني على فلسطين بقصد التضييق على الناس ودفعهم لترك أرضهم : "فما من راع بات يدنو من حدود "المبروكة" ولا زارع يصل الى أرضه القريبة منها، حتى عطايا آل عبدون التي كانت تصلنا باستمرار انقطعت " [23] .

-تحول الوطن (القرية) بقدوم اليهود إلى سجن يخنق أهله " فأحالوا" المبروكة " إلى سجن لا يقدر أهله على التحرك خارج حدوده إلا بشق الأنفس" [24] وهذا يذكرنا بالسياسة القديمة الجديدة التي ينتهجها الصهاينة للتضييق على الشعب الفلسطيني.

المدينة

لقد أدرك كثير من النقاد أهمية المدينة كعنصر مؤثر في العمل الروائي، وأولوه عناية كبيرة في نقدهم الروائي، فقد أكد جبرا إبراهيم جبرا في كثير من كتاباته النقدية ضرورة أن يستوعب الكُتاب المدينة في كتاباتهم، لأنها المكان الذي تتلاقى فيه الأفكار، وتتلاقى فيه كثير من التيارات، وهي بمثابة المصب لروافد الريف العربي وقراه المختلفة، بنزعاتها المتعددة، وتصوراتها المختلفة ولا يتصور "أن الفن ممكن في أغزر أشكاله إلا في المدينة. وقد تنمو المواهب وتترعرع في القرية، ولكنها لا تأخذ شكلها الفاعل الحضاري، إلا في المدينة. إذا أردت أن ترفض الفن فلك أن ترفض المدينة، كلاهما توأمان، وإذا أردت الفن فعليك أن تعانق المدينة [25] . وعلاقة الروائي الفلسطيني بالمدينة علاقة مميزة تنبع من "علاقته بالمكان الموصل إلى الوطن، المكان الذي يقرب الفلسطيني من وطنه" [26] . وفي الرواية محل الدراسة كان تركيز الراوي على أمكنة جزئية موجودة في المدينة كانت مسرحا للأحداث التي عني الراوي بتقديمها للمتلقي، وقد كان ذكره لمدينة يافا كمكان عام يثير انبهار ابن القرية بما فيها من مشاهد

الحضارة والتقدم التي لم يعهدها في قريته: " وأنا مشدود بالزحام الذي يلفنا والحركة التي تموج من حولنا، باعة ينادون وعربات تغدو وتروح.... شرطة على ظهور الخيل وآخرون يتوزعون هنا وهناك .... محلات تضج بالحياة .... رجال يعتمرون القبعات واللباس الإفرنجي، وآخرون يعتمرون الكوفية واللباس العربي " [27] "وفي المساء اصطحبت أخي عمر وأختي عائشة في جولة داخل المدينة .... كنت أشاهد الانبهار واضحاً جلياً على وجهيهما، خصوصاً عمر الذي تستوقفه الأشياء .... سألني مستفسراً: ليش "المبروكة" ما فيها مثل هيك؟ [28] .

جُرن القرية

يشكل الجرن ملتقى لأهل القرية يجتمعون فيه في المناسبات المتنوعة، وقد عكس الراوي من خلاله روح أهل القرية المفعمة بالوطنية والتلاحم: "فالتفت حشودها عند جرن البلدة الذي بدا من بعيد كبحر متلاطم الأمواج" [29] كشف الراوي من خلاله عن العادات والتقاليد الاجتماعية التي يسلكها أهل القرية في مناسباتهم السعيدة: "تحول جرن القرية إلى مسلخ كبير .... حتى أن أحدهم أخذته النشوة فصدحت عقيرته بالغناء: حي الزمان اللي جمعنا ولمنا. فانطلقت الحناجر تردد من خلفه على نحو مثير .... حتى النساء صدحن بالزغاريد من خلفهم. " [30] كما ودل على المرارة والألم وشدة المعاناة التي يعايشها الفلسطينيون الذين تبدلت حالهم بعد الاحتلال البريطاني الصهيوني، بحيث أصبح مجرد التقائهم على مناسبة سعيدة أمنية يتلهفون عليها: " فأعاد للنفوس ذكرى الأيام الخوالي، حين كان مرتعاً لكل حدث سعيد .... فمجرد اللقاء على هذا النحو من دون فاجعة، هو مدعاة للبهجة والفرح ... وكأنها في انتظار اللحظة التي تدوس بها كبتها المخزون، أو تفجر براكين القهر المدفونة في أعماقها " [31] .

البيت (المنزل)

" المنزل هو أول الأمكنة التي صنعها الإنسان وأكثرها أهمية " [32] وهو الممثل الأول والأبرز لأمكنة الفضاء الذاتي" ، والذي يمكن تعريفه بأنه: ذلك الفضاء الذي " يقبل فيه الإنسان على ممارسة نفسه وعيش حياته من حيث هو فرد، وفي كنفه يتحرر من قيود دوره الاجتماعي ويسكن إلى ذاته" [33] ولذلك يقترن المنزل – كمكان ذاتي الصبغة – عند الإنسان "بأبسط الأحداث وأكثرها دلالة، كأحداث الموت والولادة. " [34] ومن هنا تتجلى إحدى وظائفه في أنه هو "الذي يهب الإنسان قوة الجذور، وهو الذي يمنحه الإحساس بالمركزية باعتباره الموقع المتميز الذي ينتظم به المكان والفضاء."[35] وقد اعتبر المنزل أكثر الدواخل المكانية .... قدرة على احتواء الأفكار والمشاعر، وأكثرها قدرة على طرح حميمية العلاقة بين الإنسان والمكان، إن تجربة الإنسان الأصلية مع المأوى تقدم حسب دخول "المغارة" كعودة إلى رحم الأمن والطمأنينة (36) وللمنزل بصفاته أهمية خاصة في الأدب الروائي من وجهين الأول: هو اعتباره ممثلاً لمظاهر الحماية والأمان للإنسان، حيث يحمل صبغة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه[37] ومن خلال ذلك يكتسب أبعاداً اجتماعية ونفسية عديدة تخرجه من اعتباره مكوناً من مجموعة مواد جامدة أنه يصبح جزءاً من الأسرة ويكتسب ملامح أمومية أحياناً[38] والوجه الثاني: يتمثل في استخدامه "لإضائة الشخصية باعتباره يشكل جزءاً من سماتها وقسماتها، خصوصاً البواطن المنزلية " [39] ووفقاً للنظرية التي ترى أن: بيت الإنسان امتدادٌ لنفسه [40] وأن "ساكن البيت يضفي عليه حدوداً " [41] .

لقد احتل البيت في رواية (سوق الدير) مساحة

واسعة، إذ كشف الراوي من خلاله عن الكثير من الدلالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المستوحاة من حياة المجتمع الفلسطيني، ومن هذه الدلالات: المعاناة التي عاشها الفلسطينيون، جراء تردي الأحوال الاقتصادية إبان عهد الانتداب البريطاني، اضطرت أهل القرى للتوجه إلى المدن التي تشكل الامتداد الطبيعي للقرية، وهذا ما كشف عنه الراوي من خلال انعكاس حالة الضيق البادية على ملامح أبي حسين: "عاد أبي ذات مساء عابسا .... كدرا، ألقى بجسده المنهك على الحصير المفروش في حوش الدار .... قائلاً: بكرة أنا نازل يافا يا حليمة .

خير يا رجل !

-البلد ضاقت علينا يا حرمة وربنا قال اسعوا في مناكبها " [42] .

-كما كشف عن حالة افتقار القرية للمراكز الصحية مما يضطرهم للاعتماد على أنفسهم في معالجة بعض القضايا الطارئة: "حتى بدأت زوجتي بالتأوه والتلوي على نحو لم تعد قادرة على مداراته، فدخلت أمي إلى الغرفة وأشارت إلى زوجة الشيخ الكبرى لكي تتبعها إلى هناك" [43] .

•اعتزاز الفلسطينيين بالشهداء ويبدو ذلك من خلال تسمية المواليد بأسماء الشهداء وهذه سمة غالبة على الشعب الفلسطيني، تعكس في طياتها روحهم الوطنية العالية، التي تقدر المقاومة وأهلها : " زي القمر الله يحفظه ويخليه ... ما تقول إلا الشيخ إبراهيم الخالق الناطق، ولا يهمك يا حليمة هو راح يكون الشيخ إبراهيم " [44]

•تلاحم أهل القرية وشدة تماسكهم ومساندتهم لبعضهم البعض في السراء والضراء :"حتى المهنئين من الجيران والأقارب الذين جاءوا للسلام عليه تفاجئوا بالحدث السعيد فانشغلوا في جانب كبير من حديثهم بالمزاح والتندر مع أبي "[45]"جمع من الجيران لفنا أقبلوا عليَّ واحداً تلو الآخر بالمصالحة والعناق ،بعض النساء لم يكتفين بتهنئة أمي شفاهة أو بالعناق فأطلقن لزغاريدهن العنان... اكتظ البيت بالمهنئين من كل عمر وجنس" [46]

"على مدى أسبوع بأكمله والدار ما خلت من المهنئين والعائدين " [47]

•كشف الراوي من خلاله عن سمة أصيلة في أهل القرية وهي سمة الكرم "حشد كبير من المصلين تبعنا إلى البيت ،كل واحد منهم أراد أن يكون صاحب الحظ في استضافتنا لديه" [48]

لقد كان البيت الذي سكنه الراوي في المدينة دالاً على سوء الأحوال الاقتصادية لدى ابن القرية حيث اضطرته هذه الأحوال للهجرة للمدينة طلباً للرزق، متحملاً في سبيل ذلك المشاق:"تتربع في جوانبه غرف طينية كتلك التي نقطنها في القرية .....وهذا المخزن اللي يبيت فيه والدك .وضعنا أشياءنا في المكان الذي بدا مكتظا بالصناديق والبراميل الممتلئة والفارغة ."[49] يجد المتأمل لهذه الرواية أن البيت جمع بين المتضادات على حسب الحالة النفسية لساكنيه، فتارة يكون ملاذاً آمناً تشع من جنباته الألفة والمحبة، وتارة يكون مكاناً معادياً يحيط ساكنيه القلق والخوف وعدم الاستقرار، فالبيت الذي سكنه الراوي بالمدينة كان دافعاً لاستدعاء الذكريات الجميلة التي عكست بدورها ألفة العائلة : "حذوت حذوة من دون أن يغمض لي جفن جاءت (المبروكة) بأهلها لتكمل السهرة معي، كان أول الحاضرين ولدي... وزوجتي ... ثم أمي التي بدت ملهوفة قلقة.. تتحسسني من كل جانب ، تضمني إليها " [50] وكذلك بيت الأستاذ يوسف كان باعثاً للحنين والأشواق التي كاد ينساها الراوي في زحمة معاناته في البحث عن لقمة العيش ."غادرت المكان وبداخلي حنين إلى دفء افتقدته، وشوق لأشياء كدت أنساها ،في زحمة المعاناة، وقسوتها ،صورة

الطفل التي انطبعت في قلبي كلوحة مشرقة،فجرت بداخلي ينابيع شوق موردة، سماحة المرأة وخدرها ، أثار بي حنيناً إلى سكينة أعوزها ؟ "[51] وقد كان بيت الراوي في المدينة مصدر قلق لأمه وزوجته ، وقد عكس لنا وصف الراوي له مدى المعاناة التي يكابدها الفلسطيني في سبيل تحصيل لقمة العيش: " مع أذان العصر كنا داخل الحوش الذي لم يلق قبولاً من أمي وزوجتي ،وزاد من رفضهن للمكان ، خلوه من كل أسباب الحياة التي يحتاجها الناس ." [52] في حين كان هذا البيت وسيلة للفلاحين للهروب من هذا الواقع المر الذي يحيونه في ظل الانتداب البريطاني، إلى ذكريات ما قبل حكم الانتداب البريطاني: " وبقى الرجال ملتفين حول النار يجترون الحكايا والقصص التي طالما سمعتها من قبل، وكأن الحياة في نظرهم قد توقفت عند تلك اللحظات البائدة ..... لم أسمع إشارة واحدة في حديثهم عن الراهن المعاش ﴿ المعيش ﴾" [53] ويكشف بيت الراوي في القرية عن حالة الخوف والهلع التي يعيشها الفلسطيني جراء ظلم الحكم البريطاني وتعسفه إذ تحول البيت إلى مكان معاد غير آمن :"قبيل الغروب بدأ يسمع هدير عربات الانجليز ورشقات رصاص متقطعة ،.... أشعل أبي لفافة أراد من ورائها تبديد بعضاً من التوتر المرسوم على محياه ،هدير العربات الذي بدأ بالاقتراب منا ، جعله يهيم في الحوش كالضارب في التيه..... وقع ضربات على أبواب قريبه ، جعلته يهب نحوي كالملدوغ ، .....اسمع يا حسين ، إذا الانجليز دقوا بابنا ، ارفع حالك وتدلى في دار عمك الشيخ إبراهيم "[54] "وقع ضربات على بابنا عطل الحواس بداخلي ، أصابني بالدوار ."[55] وقد كان بيت الراوي مصدر سعادة وألفة وفرح "أطبقنا عليه بالعناق ، والقبل من كل جانب.... زغردت أمي وتبعتها زوجتي،ثم أختي عائشة ، وزوجة عمي الشيخ إبراهيم التي تصادف وجودها في الدار كاد الأمر يتحول إلى عرس صغير" [56] والبيت نفسه يتحول إلى مكان للقلق والخوف ، حيث عكس الراوي من خلاله ملاحقة الإنجليز للفلسطينيين " بعدما رحل الأهل والأقربون وتركوني مع زوجتي وولدي أكابد مرارة الوحدة والخوف وأعيش هاجس الاعتقال في كل لحظة، خصوصاً بعدما وصلني خبر اعتقال الأستاذ يوسف وجمع من رفاقه، إضافة إلى حملات المداهمة التي راح يتسع نطاقها يوماً بعد يوم "[57]ويكشف البيت من خلال ساكنيه عن ثقافة اجتماعية تميز بها المجتمع القروي، حيث كان الفلاحون يفضلون الذكر على الأنثى ولعل ذلك يعود إلى اعتقادهم بأن الذكر أنفع للعصبية، وأقدر على مساعدة الأب في تحمل مسؤولياته "قابلتنا الحاجة بهية أكبر زوجات الشيخ إبراهيم سناً ..... بالسلام والترحاب ....وقالت: مبروك يا ابن عمي ... ربنا بعتلك عروس متل القمر.

–الله لا يوفقك يا غراب البين ،همس أبي بغيظ دون أن يلتفت نحوها" [58] وكذلك كشف البيت عن سلوك اجتماعي يفعلنه النسوة في المناسبات السعيدة . "بعض النساء لم يكتفين بتهنئة أمي شفاهة أو بالعناق، فأطلقن لزغاريدهن العنان" [59] "زغردت أمي و تبعتها زوجتي ثم أختي عائشة وزوجة عمي "[60] كشف البيت من خلال ساكنيه عن الدور الاجتماعي لمختار القرية " المختار ربنا يحسن إليه، فتح الجامع يعلم فيه كل يوم بعد العصر" [61] "المختار ذبح خروفين وحضرتك ما ذبحت بطتين "[62]"بعدهم بلحظات قصيرة دخل أبي والمختار حاملين سلالاً تسبقها ريحتها الشهية ، وضعاها بقربي فالتف الجميع من حولها ."[63]لقد كان البيت حاضن بدايات تشكيل الوعي لدى الراوي ،ونلمس ذلك من خلال استدعائه لخيال زوجته:" وزوجتي التي يطل من عينيها ألف سؤال :من شأن هذا تركتنا؟؟؟"[64]هذا التساؤل الذي يحمل في طياته نقداً

لاذعاً للأجيال الشابة التي يمثلها الراوي،بحيث لم تعمل على تفسير هذا الواقع الأليم، وتكرير الراوي لهذه الأسئلة يدل على الإحساس بعقدة الذنب تجاه كل ما يحدث حولهم :"خصوصاً حين تقتادني مرارة الأسئلة إلى سطوة الراهن الذي أتي بي إلى هنا ،بعيداً عن الأهل والولد ،لماذا تركنا" المبروكة"، وجئنا إلى هنا من أجل المال ؟أم هرباً من الجوع والخوف ،هل عجزت "المبروكة" أن تظل صدرنا الحنون كما كانت من قبل ؟ ما الذي جد وجعلها تلفظ أبناءها؟ هل حقا تخلت عنا أم نحن من تركها ؟ وهل كنا مخيرين في ذلك أم مجبرين ؟؟"[65] وكان البيت مكاناً لتشكيل الوعي الجمعي من خلال متابعته أخبار المقاومة الشعبية ،ودور اللجنة التنفيذية في قيادة المقاومة :"حين أشار أبي في حديثه إلى المحال التي فتحت أبوابها بعد قرار اللجنة التنفيذية بوقف الإضراب ،وما ينتج عن ذلك من خسائر في الأرواح بلغت في مجملها أكثر من خمسة وعشرين شهيداً ،وما يقرب من مئة وستين جريحاً ."[66]

-كشف الراوي من خلال المكان (البيت) عن وجود طبقة المثقفين- يمثلهم الأستاذ يوسف-الذين يتميزون بوعي متفتح ،وبصيرة ناقدة تعمل على الاستفادة من الماضي، دون التوقف عنده، وندب الحظ ، بل العمل على تغيير هذا الواقع المرير: "على عكس الأستاذ يوسف الذي كان الحاضر همه وقوت يومه ،لم أسمعه بالمطلق يتحدث عن الماضي بأي شكل من الأشكال وإن تحدث رأى فيه حاضراً صنعه أهله ومضوا ولا يحق لنا أن نسلبه منهم ، أو ندعي الانتساب إليه، طالما بقينا عاجزين عن مواكبته والبناء عليه ."[67]

وهذا ما أكده الراوي فالمشكلة تكمن في الأبناء الذين لم يكملوا المشوار، وعملوا على تغيير هذا الواقع ،بل ألقوا باللائمة على الآباء ليهربوا من محاسبة النفس على تقصيرهم: " لماذا أظلم أبي بهذه القسوة ألم تشهد له (المبروكة) يوم أن تعرض للانجليز وضرب رجالهم بينما اختبأ غيره من الرجال ... ألم يعتقله الانجليز لأكثر من مرة؟ ألم أحمل بندقيته وأحفظها بعد كل معركة، المشكلة ليست في أبي، المشكلة تخصني قبل الإنجليز وأبي ..... ليس من حقي أن أجبن وألقي بتبعات ذلك عليه أو على سواه ، لقد اختار طريقه وارتضى به،وعلي أن أجد طريقا يخصني وأجد نفسي من خلاله. "[68] وفي هذا رمزية لصراع الأجيال (جيل الأبناء والأجداد- جيل والأبناء) .

المسجد

للمسجد دور مهم في حياة المسلمين على مر العصور، لما له من قداسة في نفوسهم، وقد كان مركز انطلاق فتوحاتهم المادية والمعنوية ،ويرى المتتبع للقضية الفلسطينية أن المسجد لعب دوراً رئيساً في الصراع العربي الإسلامي مع الإنجليز والصهاينة من بعدهم ، حيث كان مناراً لشحذ الهمم ولالتفاف الناس حول بعضهم بعضاً في الملمات والنوائب التي تحل بهم ،ودليلاً على مقاومة الشعب الفلسطيني للمحتل الغاصب ، وشاهداً على التضحيات التي قدمها هذا الشعب وما زال يقدمها :"ضاق بهم بهو المسجد والساحة التي تقابله ،ولكنهم حرصوا أن يكونوا دوماً تجاه الجثمان."[69] وقد كان مكاناً للمواساة وشحذ الهمم ومكاناً للتجاوب الروحي، والوجداني، والاجتماعي: " كان النعش في طريقه للمسجد، وضع أمام المصلين واعتلى المختار المنبر، راح يخطب فينا بصوته الجهور وحديثه المسترسل، كانت المرة الأولى التي أسمعه فيها ، تحدث عن الموت والحياة،،،عن الدنيا والآخرة....عن الشهداء ودرجاتهم ...عن الشيخ إبراهيم ... فبكينا... وبكى من بالمسجد جميعاً حتى علا نحيبهم. "[70] وفي اللحظات الحالكة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، وحين تضيق أمامه السبل، ويصبح موزعا بين

ضغوط نفسية واقتصادية ، وفقدان للأمن ، وضياع للوطن ، يبرز المسجد مرة أخرى ليروح عن النفس، ويعيدها إلى طبيعتها ، "صوت الأذان في جامع الجبلية القريب ، بدد عتمة الليل وأزاح عن كاهلي تلك الهواجس"[71] أسهم المسجد في تشكيل الوعي الجمعي لدى الفلسطينيين " وهنا نستمع إلى خطبة الشيخ التي كانت في مجملها عن اليهود وأفعالهم الشيطانية ....عن الانجليز ودورهم المتواطىء ،ثم علت نبرته بشكل ملفت حين انساق في الحديث عن الوطن وحقوقه....عن الكرامة ووجوب الذود عنها ....عن التخاذل وأثره الهدام في حياة الشعوب والأمم حتى خلت المسجد يموج بمن فيه"[72]

كان المسجد مركزاً لانطلاق المقاومة :"كنا قد أنهينا صلاة الجمعة في المسجد القريب ،فاندفع الناس في تشييع أحد الشهداء الذي سقط صبيحة ذلك النهار "[73] . وقد كشف الراوي من خلاله عن حضارة المدينة وعراقتها وبساطة القرية: "وسرنا قاصدين متوضأ المسجد، فشد انتباهي اتساع المكان ونظافته، وحين دلفنا إلى بهو المسجد وقفت مبهورا أمام الزخارف والنقوش القرآنية المرسومة على جدرانه وأعمدته الرخامية ناصعة البياض ، تحسست البسط الناعمة تحت قدمي، فباغتتني صور الحصر المهترئة في مسجد (المبروكة) سحرني المنبر بزخارفه وألوانه الذهبية " [74]

الشارع

أدى الشارع دوراً بارزاً في رواية (سوق الدير) إذ كان المرآة التي تنعكس عليها أحوال المجتمع، فحين يسقط شهيد تهب الجموع لاستقباله وتشييع جثمانه الطاهر: "جموع من الناس راحت تزحف لاستقبال الجثمان العائد متلفعاً بالدماء، وأخرى تدافعت بين الأزقة والحارات" [75] كشف الراوي من خلاله عن تلاحم أهل القرية، وعن المراسم التي يعمدون إليها حين تشييعهم للفقيد: "صوت الفجيعة كان يزلزل الأرجاء ،هتاف الحناجر، التي انطلقت خلف النعش، .... جموع المشايخ التي خرجت بالطبل والرايات أضفت على المشهد مخافة ورهبة . "[76]

كشف الراوي من خلال المكان (الشارع) عن بساطة أهل القرية من خلال تقبلهم لبعض المعتقدات التي تناقض العقل، ولسرعة جريان الإشاعة بينهم ." فسمعت أثناء سيري إلى جوار أحد الذين لحدوا المبروك، همساً يحدّث فيه رفيقه قائلاً :أشك أن الكفن ما كان فيه أحد .سرت الإشاعة كالنار في الهشيم ،وبعد أيام ادعى أحدهم أنه لم يشعر بثقل النعش،...وحدث آخر بعدها أنه رأى الجثمان طائراً في الهواء ....،أقسم بأنه ناداه باسمه وألقى التحية عليه "[77] وقد كان الشارع مبعثاً للأمان عند الخوف من الضياع والتيه "و بداخلي خوف من أن، أضل طريق عودتي ،.....لكن ضجيج الشوارع بالحياة من حولي ،خفف من حدة المعاناة التي تنتابني"[78] ويعتبر الشارع من خير الشواهد الدالة على تردي الأحوال الجوية "كانت الشوارع خالية إلا من بعض السابلة ،ومن اضطرتهم الظروف للخروج،.... حاولنا بصعوبة بالغة قطع الشوارع التي غمرتها المياه حتى أصبحت جداول صغيرة "[79] ويصبح الشارع المكان الذي يعلن فيه الفلسطيني تحديه لظلم المحتل ولجبروته،ومسرحاً للمقاومة الشعبية الفلسطينية،ودالاً على ظلم المستعمر وبطشه "وما أن خرجنا ..حتى علا الهتاف مدوياً في عنان السماء،في أثناء المسيرة ووصل إلى مسامعنا صوت رصاصات أتت من قلب المدينة ،ثم انتشر خبر تصدي الإنجليز للمظاهرة التي انطلقت من مسجد يافا الكبير،البعض تحدث عن إصابة الشيخ موسى الحسيني ،وهو يقود المظاهرة، برفقة عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية .....مما زاد من غضبة الجموع واندفاعها "[80] "فاندفع الناس في

تشييع أحد الشهداء الذين سقطوا صبيحة ذلك النهار."[81]"..... سرنا مع الجنازة حتى المقبرة القريبة. مصحوبين بالتهليل والتكبير"[82] . وقد كشف الراوي من خلال حديثه عن تأثر المكان (الشارع) بواقع الحياة وأحداثها ، وعن التضحيات التي يقدمها الشعب الفلسطيني ، وعن حالة تردي أحوالهم الاقتصادية جراء حصار الإنجليز لهم: "وقع الأمر على الناس وقع الصاعقة، فتعالت صيحات التأوه والانتقام للشيخ ورفاقه، الذين أعدم بعضهم معه، واعتقل البعض الآخر داخل سجون الاحتلال .....وسعت قوات الاحتلال البريطاني من نطاق حظر التجوال، الذي كان مفروضاً على القرى والشوارع الخارجية، من الساعة السادسة وحتى الخامسة صباحاً ليشمل كل المدن الفلسطينية ، مما انعكس سلباً على كافة مجريات الحياة ، لدرجة أجبرت أبي على تقنين المصروفات "[83] ومع ازدياد شعلة المقاومة يزداد تضيق المحتل البريطاني على الشعب الفلسطيني وينعكس صدى ذلك على الشارع الذي يتحول إلى مكان غير آمن :"غادرنا باتجاه السوق وسط خوف وتوجس ،فكثافة النيران ا لمنطلقة من فوهات البنادق ...لا ينبي بخير ...حركة الناس المضطربة في الشوارع القريبة زادت من حدة مخاوفي."[84] لقد أشار الراوي إلى مسلك اجتماعي يتمثل في زيارة الناس للأماكن التي يعتقدون أنها مقدسة، كزيارتهم لمقام (قبر النبي روبين) كما بيّن الفعاليات التي يقوم بها الفلسطينيون الذين يزورون هذا المقام، ويعلل الراوي هذه الزيارة بأنها وسيلة للتهرب من الواقع الصعب الذي يعيشونه: "فاجأني ذلك الاندفاع المحموم من قبل الناس لزيارة تلك البقعة التي يقال إن فيها قبراً للنبي روبين ، سيل متدفق يزحف من قلب المدينة تجاه ذلك المكان ....، جموع تموج من حولنا محدثة كل ما في الأرض من صخب وضجيج ،بعضه ناتج عن سمات صوفية متعددة، تتجه نحو المكان مصحوبة بالطبل والرايات... حلقات غناء وأخرى للدراويش يستعرضون فيها مهاراتهم في ضرب الشيش داخل أجسادهم دون أن تنزل قطرة دم واحدة ..... لعبة تحد يسمونها التبان، يتقابل فيها الشخصان ،ثم يدخلان في تلاحم ينتهي بفوز من يوقع خصمه أرضاً ....،حتى شعرت في لحظة ما وكأن الناس يبحثون عن هذه المواسم، وربما هم يصنعونها ويحيطونها بكل هذه المظاهر والمشاعر المفعمة بالكثير من الأحاسيس والعاطفة من أجل أن يهربوا من الراهن المعاش ﴿المعيش﴾"[85] .لقد تميز أهل فلسطين بميلهم الفطري نحو التدين والالتزام وهذا ما كشف عنه الشارع: "كانت الشوارع شبه خالية من المارة ،الرجال جميعهم احتضنهم مسجد البلدة لأداء الصلاة."[86]

البيارة

يرتبط مدلول البيارة في الذاكرة الجمعية للفلسطيني بالمكان الأول المتصل بالطمأنينة والخير والسعة ،وخلو الحياة من الهموم المتراكبة .

وتحتل البيارة في الوجدان الفلسطيني مكانة متقدمة من التعلق والشغف الذي قد يصل إلى منزلة الاندماج والتوحد ،لذا لا عجب أن تشيع أغاني البيارة ومفرداتها في الموروث الشعبي الفلسطيني ،[87] ولأن الجانب الكبير للصراع بين الفلسطينيين والصهاينة كان صراعاً حول الأرض الزراعية .[88] لقد عشق الفلسطيني البيارة التي هي بمثابة رمز للأرض الفلسطينية ،وهذا ما عبر عنه الراوي من خلال وصفه لها "تابعنا سيرنا بين أشجار البرتقال المنداة حباتها بقطر الندى وخيوط الشمس المتسللة من بين الأغصان والسحب التي تسعى جاهدة لحجبها، فتضفي عليها بريقا يحيلها إلى كرات ذهبية تسر الناظرين ."[89]

كشفت البيارة عن التوغل الصهيوني في الأرض

الفلسطينية من خلال مستعمراتهم الموجودة في كل مكان: "لا يا بني ..الكوبنيات في كل مكان ... وقاعدة تنبت مثل الفطر)[90] كانت البيارة رمزا للعطاء والبركة ومعلما من معالم الاقتصاد الفلسطيني في تلك الفترة ،وهذا ما كشفت عنه فرحة العمال عند اكتمال جنيهم البرتقال لتصديره للخارج :"يوضع في صناديق يرفعها الحمالون على ظهور الشاحنات المتوقفة بقربهم وحين تكتمل الحمولة تهدر المحركات إيذانا بالرحيل وسط دعاوي الحاضرين وزغاريدهم ،سألت أبي عن وجهتها، فقال إلى الميناء ومن هناك إلى الخارج "[91] لقد احتضنت البيارة المقاومة الفلسطينية حيث أصبحت معلما من معالم المقاومة ،ومركزا لانطلاقها :"غير أن الذي أثار انتباهنا على نحو ملفت ،هو خروج عدد من المسلحين من بين الأشجار قاصدين الشارع الرئيس "[92] وكشف من خلالها الراوي عن افتخار الفلسطينيين بالمقاومة: "أصلهم جماعتنا ،متل ما تقول منا وفينا ...عقب سالم بارتياح لا يخلو من مباهاة "[93] وأوضح تنوع الأساليب التي تتخذها المقاومة في ممارسة مهامها: "كانوا يمرون في وضح النهار أحياناً كأي جماعة من الناس تبحث عن قوتها ...يختلون بسالم... وأحياناً يأتون في الليل بكامل سلاحهم وعتادهم ،... وفي بعض الأوقات يكون حديثهم همسا ،فلا تشعر بوجودهم ..... طلعوا من هان والبلد ولعت "[94] لقد أضحت البيارة مكاناً للانخراط في المقاومة "بعد تلك الجلسة الدافئة أصبح أبي عضوا رئيسا في الجماعة "[95]ومكاناً لتخبئة الأسلحة "وأشار إلى البندقية قائلاً خذها ودسها في كوم التبن "[96] ،كشف الراوي من خلالها عن توزيع المهام بين المقاومين: "أصله سالم خدم مع طبيب في الجيش التركي ...أدركت حينها سر بقائه في المكان كلما خرج الرجال لأداء مهمة من هذا النوع [97] تحولت البيارة إلى مكان غير آمن يبعث على الخوف "خوف أبي من القادم المجهول كان واضحاً ،رغم حرصه على مداراته عني "[98] كشف الراوي من خلالها عن بساطة أهل القرية ،واعتقادهم ببركة الأولياء :"الله يرحمك يا مبروك ...لو شافها لتفل عليها ومشي"[99]

لقد كانت البيارة امتداداً للقرية تستدعى ذكرياتها الجميلة :"أقبلت على شطائر مغموسة بالزبد والعسل ...تذكرت حينها خميس الشيخ إبراهيم يوم أن خبزت أمي كمية من الشطائر المحشوة بالقرفة والسكر،من أجل توزيعها على المقرئين بالقبر "[100] أظهرت الفقرة السابقة مسلكاً اجتماعياً يحرص عليه أهل القرى ،يتمثل في عملهم (خميس الميت) وتوزيعهم للحلوى على المقابر .

العربة (الحافلة)

عكست العربة بساطة أهل القرية وانقطاعهم عن العالم الخارجي ،وصعوبة ظروفهم الاقتصادية: "كانت المرة الأولى في حياتي التي تطأ فيها قدماي هذا الوحش الممدود أمامي كثعبان طويل ...عالم أسمع به وأراه لكني أجهله ...اكتفي بسماع تجارب الآخرين ممن حالفهن الحظ أو شاءت ظروفهم بصعوده" [101] لقد أضحت العربة مركزاً لتعليم الأبناء بمعالم الأرض الفلسطينية ومدنها : " هذه هربيا... هذه الجبة ... المجدل... القسطينة... ازدود... يبنا... عيون قارة..." [102] وكانت مكاناً يعبرون فيه عن رؤاهم الاجتماعية ، حيث كان أهل القرية دقيقين في اختيارهم لأصهارهم "خصوصاً أن إبراهيم الأعرج الذي يعتز بنسبه ويباهي به لا يساوي شيئاً في (المبروكة)بل تعده بشيبها وشبابها في زمر الرزايا والتفه من الرجال "[103] ومكاناً يكشفون من خلاله عن مساندة الانتداب البريطاني لليهود في مسعاهم للاستيلاء على أرض فلسطين، ودعمهم في كل ما يقترفون من جرائم بحق الشعب الفلسطيني ."أصل اليهود مش فاكين عنا .... كل

يوم وهم طالعين ﴿ طالعون ﴾ بقصة وحكاية ... المرة هاي صار حايط البراق ملك أبوهم ... ماكفاهم اللي نهبوه منا، لاحقينا حتى في دينا والإنجليز الملاعين سايقين معهم .... صار الدم للركب ...في القدس عشرين ﴿ عشرون ﴾ شهيداً ،وفي يافا عشرة وحيفا ما بعرف خمسة ولا سبعة ،...اليهود مش فاكين حتى يحرقوا الأخضر واليابس "[104] كما وأصبحت الحافلة مكاناً للتندر ولو بقصص مختلقة لعلهم ينسون ما يكابدون من هموم :" صحيحة القصة اللي حكاها الأعرج على لسان صهره ولا زاد فيها وساق ،سأله أبي باستخفاف جاهر لإخفائه عن الرجل ...ضج الحاضرون بالضحك ،البعض شكك بالرواية والبعض كذبها تماما دون حياء أو وجل ...حرمت عليك عيشتك يا نصاب يا ضلالي .... ولك هذه أصغر ألف مرة من طاحونة عمك ونسيبه الهامل ،دوت الحافلة بالضحك..."[105]تحولت الحافلة بسبب الظروف السياسية الصعبة ،وتغول اليهود وسيلة للموت "صوت الزجاج المهشم فوق رؤوسنا زاد من معاناة البعض ،خصوصاً بعد أن صدرت عدة صرخات مكتومة من أماكن متفرقة بداخل الحافلة ....حالة الإرباك المشحونة بلحظات الخوف التي تنتابنا ."[106]

الحظيرة

أبرز المكان الفرق بين القرية والمدينة من خلال تربية المواشي ،فمعظم الأغنام في الحظيرة من النوع الشامي بخلاف الأمر في القرية التي لا يوجد فيها مثل هذه الأغنام إلا عند القلة القليلة ،وهذا يعكس بدوره أن أهل المدينة أيسر حالاً من أهل القرية ،وقد كشف المكان عن تردي حال القرويين الاقتصادية ،ولنا أن نتخيل سوء هذه الأوضاع عندما يتحول شراء مثل هذه الأغنام إلى أمنية لهم :"توجهت برفقة أبي إلى إطعام الأغنام الموجودة في الحظيرة ،كانت في معظمها شامية ضخمة ،على عكس التي نربيها في (المبروكة)أذكر كم تمنت أمي لو كان لها واحدة مثلها ،خصوصاً بعدما رأتها في دار المختار .....،فهل ستبقى أمانيها أحلاما مستعصية "[107] لقد عكست أحلام الأم أحلام الشعب الفلسطيني في تحقيق أمانيه التي يتطلع كل فرد من أفراده إلى تحقيق ولو البسيط منها ، ولعل في السؤال المطروح إشارة إلى تردي أوضاع هذا الشعب،وإلى عظم المؤامرة التي تحاك ضده ،مما حال بينه وبين تحقيق كثير من هذه الأماني .

السوق

يعد السوق من المعالم الدالة على حيوية المدينة ،ونشاطها التجاري،وفارقاً يميزها عن القرية ودالاً يعكس أحوال المدينة السياسية والاجتماعية والتجارية ،فمن الناحية التجارية يكشف عن نشاط الحركة التجارية،مما يعني هدوء الأحوال السياسية :"كان السوق عامراً بالنعم من كل صنف...بالضجيج ...بالحياة....بضائع مكدسة في كل مكان...في المحال وعلى أبوابها "[108] "دخلنا السوق الذي كان ينبض بالحركة والحياة ،أصوات الباعة تحاصرنا من كل جانب "[109]ويعكس السوق خصوبة هذه الأرض المباركة "مشاهد الفاكهة المرصوصة ....أصنافها المتعددة تثير النفس وتفتح الشهية "[110] ومن الناحية السياسية يصبح أحياناً دالاً على تردي الأحوال السياسية ،ومن ثم ينعكس ذلك سلباً على الحركة التجارية ." السوق شبه خال من المارة والباعة...رجال الشرطة من العرب والإنجليز ينتشرون بكثافة لم نشاهدها من قبل ...يتركون من حالفه الحظ ويقتادون من خالفه إلى عربة تقف في زقاق قريب"[111] ومن الناحية الاجتماعية كشفت عن مسلك اجتماعي ، وهو عدم سماح أهل المدينة للنساء بالنزول إلى السوق إلا ما ندر ،وفي هذا دلالة على ترف المرأة الحضرية مقارنة بالمرأة القروية التي اضطرها شظف العيش للنزول

للسوق لبيع ما لديها من بضاعة ،وفي هذا دليل على أن المدينة امتداد طبيعي للقرية "خصوصاً أن الناس هنا لا يسمحون للنساء بالنزول إلى الأسواق إلا فيما ندر،...فلم أشاهد سوى بعض القرويات الآتيات من خارج المدينة يبعن ما جلبن من القرية." (112)كما وكشف عن تنظيم أهل المدينة لأمور حياتهم ،وهذا أمر طبيعي تفرضه عليهم طبيعة حياتهم بالمدينة،ولنا أن نستنتج من خلاله أن أهل القرية أطيب قلباً من أهل المدينة ."لكنني اكتشفت بعد ذلك أن الناس لا يخلطون بين العواطف والعمل ...بين الحسي والمادي ...بين الخاص والعام ...على عكس ما ألفته في (المبروكة)وما نشأت عليه مما جعلني أشعر بالغربة أ حياناً "(113)

المستشفى

كان المستشفى ــولا زالــ شاهداً على الإجرام الصهيوني المدعوم بمساندة الاحتلال البريطاني ،ودالاً على صبر الشعب الفلسطيني وقوة تحمله ،وثقته بأن الفرج قريب :"أحد الجنود دفعها بعقب البندقية ...كنا بداخل المستشفى...خرجت أمي بوجه حزين وأعين دامعة ،دنت منا وقالت بصوت أجش :ربنا يعوضك خير يا بني ...اللي في بطنها راح ...اللي عند الله قريب يا بني "(114)ومن المفارقات العجيبة أن هذا المكان الذي شهد الألم بفقدان الجنين ،شهد ميلاد الأمل بقدوم مولود جديد ،وكأنه يشير إلى أصالة هذا الشعب الذي يأبى الانكسار ،فهو في حالة عطاء متجدد ومستمر ،فالعلاقة بين الفلسطيني وهذا المكان علاقة تجاوزت حدود المكان ليصبح المستشفى جزءا من حياة هذا الشعب ،يستقبل شهداءهم ويعكس آلامهم ،ويعلن عن آمالهم وأفراحهم بميلاد جيل مقاوم :"شو الاسم اللي اخترته؟ سألني الطبيب مستفسراً .

-عز الدين ،رد أبي دون الالتفات إلى أي منا "(115)

" صراخ انطلق فجأة من داخل المستشفى ،.... لتبيين حينها أن أحد المصابين قد فارق الحياة أثناء إجراء جراحة له "(116)

حارة التخاشيب

أدى تردي الأحوال السياسية واختلافها إلى اختلاف تركيبة المدينة ،فلم تعد المدينة هي المدينة الأولى بل أصبحت تستقبل المعاناة بكل معالمها ،وهذا يتبدي لنا من خلال الأحياء الفقيرة المنتشرة في جنباتها "شاهدنا مجموعة من الأكشاك المصنوعة من الصفيح والخيش المدعوم بعيدان البوص المجلوبة من الأودية القريبة ....ربما جاوزت في عددها الخمسين خصا ،....هذه حارة التخاشيب يا سيدي ....غالبية قاطنيها جاؤوا من المناطق الجنوبية وأن بعضهم قد جلب أفراد أسرته للعيش معه من أجل إعانته في بعض الأعمال التي تحد من شظف العيش وقسوته ."(117)

الكوبانية (المستوطنة)

ينظر الفلسطينيون إليها كمكان معاد ،لا يجلب إلا الشر ،وقد كشف اختيار اليهود لموقعها عن استراتيجية تعكس مخططات الصهيونية الهادفة إلى بث الرعب في نفوس المواطنين ،وتشجعهم على الهجرة ،ويشير هذا الاختيار لهذه المواقع إلى الاعتبارات الأمنية التي يقدسها الصهاينة وما زالوا ،حيث اختاروا المواقع التي تفصل بين المدن ،حتى يسهل عليهم التحكم في هذه المدن ،والحد من تمددها: "فلا يمضي يوم دون أن يسمع فيه صوت الرصاص خصوصاً عند الأطراف المحاذية للكوبانية ،....حتى قوافل التجار المنطلقة تجاه يافا والخليل ،أصبحت تواجه خطراً "(118)

"إذ لم نكد نمر من أمام كوبانية يدمرد خاي الواقعة بمحاذاة الطريق الرئيس الواصل بين غزة ويافا ،حتى باغتنا سيل من الرصاص المنطلق من أبراجها." (119) وهكذا أصبحت الكوبانية (

المستوطنة) رمزاً للاغتصاب والتمدد اليهودي في الأرض الفلسطينية ، كما أصبحت مصدراً للعدوان على الشعب الفلسطيني وبث الرعب والخوف في نفسه إلى جانب القتل وسفك الدماء .

المدرسة

كشف الراوي من خلال الحديث عن المدرسة تقديس أهل فلسطين للعلم وحرصهم عليه ،وفي هذا دلالة على ازدياد الوعي الفلسطيني بقيمة العلم في الإسهام في تغيير هذا الواقع المرير: " وجلسنا نتبادل أطراف الحديث ....فأطرق الأستاذ قليلاً ثم نظر إلى عمر وسأله قائلاً :شو خططك بعد هيك ؟

–راح أعمل مدرساً في (المبروكة) و...

–المبروكة صار فيها مدرسة ؟!!قاطعه مندهشا

–مدرسة ولا هيك مدرسة بدؤوا فيها من سنتين وقبل شهر انتهوا

–يا خوي (المبروكة)كلها ساهمت في الموضوع وما قصرت [120]

الدكان

شغل هذا المكان مساحة لا بأس بها في الرواية محل الدراسة ،وقد كشف الراوي من خلاله عن دلالات متنوعة ومتداخلة منها أن المدينة الفلسطينية كانت وما زالت مركزاً داعماً للقرية في شتى المجالات وخاصة المجال الاقتصادي: "وضع أبي عباءته على كتفه وقصد الدكان ...ثم همس قائلاً :ضروري نجيب بضاعتنا من يافا ...البضاعة هناك أرخص "[121] وقد انعكس سوء الأحوال السياسية سلباً على الاقتصاد الفلسطيني مما أدى ببعض المواطنين أن يخاطر بحياته من أجل الحصول على لقمة العيش ،ويكشف هذا عن سياسة الاحتلال البريطاني الرامية إلى التضييق على الناس من أجل دفعهم لترك الوطن، ومن ثم تصبح الظروف مهيأة للصهاينة لاحتلال الأرض "من وين نشوف الخير والإنجليز مش عاتقين حد فينا ....حتى نسوا نا سجنوها.

– نسوانا

– معتقلين حرمة الغلبان اللي شفته قبل شواي ..قال مسكوها بتسرق من الكمب

–يعني كل الضرب اللي سمعناه الليلة كان عليها "[122]

كان الدكان مكاناً لتشكيل الوعي من خلال التحذير من الهجرة غير الشرعية لليهود إلى فلسطين ،ودعم الاحتلال البريطاني لها ،وهذا يدل على أن هناك استشعاراً لدى طبقة المثقفين الوطنيين بخطورة ما يخطط له كلٌ من الصهاينة والإنجليز للاستيلاء على أرض فلسطين "من الزبائن الذين يترددون على المحل ...الأستاذ يوسف...يعمل مدرساً في إحدى مدارس المدينة ...

–لا يا عمي ،الجريدة بتقول بالبنط العريض "اللجنة العربية تدعو الوجهاء في يافا لاجتماع عاجل في 4 فبراير 1923 ليتم فيه تدارس الوضع الناشئ عن هجرة اليهود غير الشرعية إلى فلسطين وفضح دور الإنجليز المتواطئ في ذلك .[123]

لقد كشفت اللقاءات والأحاديث التي كان الدكان مكاناً لها عن الجرائم التي كان يرتكبها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني من أجل التضييق عليهم ،ودور اللجنة التنفيذية في قيادة الحركة الوطنية ،وهذا يعكس بدوره مقاومة جيل الآباء للمخططات الصهيونية الإنجليزية وتقديمهم التضحيات في سبيل ذلك ،ولكن المؤامرة كانت أكبر منهم ،لا كما يروج البعض عن تقاعسهم وتخاذلهم في الدفاع عن أرض فلسطين "وجدت المحل مفتوحاً لحظة إيابي إليه ...دخل الأستاذ يوسف متلفعا بمعطف ثقيل ...ثم قال بشيء من الأسى :يا سيدي ...شباب مثل الورد قاعدة تموت ولا حد سائل فيها.

–امبارح قتلوا ابن أبو وليم وهو راجع من حسبة السمك ...

-لا حول ولا قوة إلا بالله ...والله اليهود ما هم مصليين عالنبي .

-عشان هيك يا عمي دعت اللجنة التنفيذية لمسيرات حاشدة يوم 27 أكتوبر 1933."(124)

كشف ما كان يطرح في الدكان عن دور المثقفين المخلصين في توعية الناس وقيادة الجماهير نحو التغيير الذي يبدأ من داخل الإنسان لجعله ينظر إلى الأمور ببصيرة ناقدة :"غير أن الأستاذ يوسف ظل دوماً نبراسي الذي أهتدي به ...وجعلني دائم البحث والسؤال ،صحيح أن نظرتي للأشياء تبدلت وأن فهمي أصبح أكثر شمولاً واتساعاً ....غير أن إحساسي المتنامي بالتبدل الحاصل في داخلي ،كان دائم التحضر لصد أي شيء يشدني إلى الوراء ."(125) .كما وأبرز الدكان كمكان حي متفاعل مع الأحداث قدرة الفلسطينيين على تطوير أدواتهم ووسائلهم النضالية :"كما كانت البداية بالتظاهر والاحتجاج ،ثم تحول الأمر إلى إغلاق المحال والمتاجر،لدرجة أنه لم يعد في مقدوري فتح المحل في الأيام الأولى من الأحداث ...لكن الأمر بدا يأخذ شكلاً آخر من أشكال التصعيد حين أغلقت المدارس أبوابها وبدأت الدعاوي للإعلان عن إضراب شامل يعم البلاد بأسرها ."(126).

لقد كان لسياسة التضييق التي انتهجها كل من الإنجليز والصهاينة ،أثرها على الفلسطينيين ،حيث أصبح ثمن الأرض لا يساوي شيئاً ،وهذا من شأنه أن يدفع الناس لبيعها ،أو حتى التفكير ببيعها ،وهذا ما يصبو إليه الاحتلال الإنجلوصهيوني، ونلمس ذلك من خلال التفكير ببيع المحل .

- الأرض صارت بسعر الزبل

-بكم الدونم ؟

-خمس ليرات

-يعني لو فكرنا في بيع المحل الكبير يمكن نشتري عشرين دونم (127)

-كشف علاقات الناس وارتباطهم بالدكان كمكان عن تعلق الفلسطينيين بأمل انتصار الألمان على الانجليز ،مما ينعكس سلباً على الصهاينة الموجودين في فلسطين ، ولكن نلمس يأس الفلسطيني من الدول المجاورة في نصرتهم أو مد يد العون لهم "يصبح دكاني ملتقى لكل من أراد معرفة ماذا يحدث ...

-الألمان بلغوا فرنسا ...والحبل ع الجرار...

-عقبال ما يبلغوا الإنجليز كمان ويريحونا من شرهم ...

-ما هو إذا انكسرت شوكة الإنجليز راح تنكسر شوكة اليهود "(128)

كان الدكان مركزاً لتشكيل الوعي الجمعي بالمخطط الصهيوني اللعين ،لكسب التعاطف الدولي ،ومن ثم الاستيلاء على أرض فلسطين "جاءني الأستاذ يوسف يوماً حاملاً صحيفةً ،فالتأم الجميع لرؤيته كالعادة .....

-يا جماعة كله مربوط في بعضه ،اليهود بعد الحرب زادوا أضعافاً مضاعفةً، بحجة الهروب من المجازر والعالم متعاطف معهم"(129)

"حبة المهجرين خلفهم كل الدنيا وقاعدين بتآمروا في الأمم المتحدة ليعطوهم نص البلد واحنا ما لنا ظهر يسندنا "(130)

المكان ودوره في البناء الفني للرواية

الرواية كل متكامل لا ينفصل جزء أو عنصر منها عن الآخر،فهي كائن حي تتكامل فيه العناصر ،وتتداخل الأحداث بصورة مترابطة،وتتماسك الجزئيات بحيث يكون النمو فيها طبيعيا من بدايتها إلى نهايتها ،وفي كل ذلك تتكون في قالب متماسك خاضع لرؤيا الكاتب من حيث التكنيك الذي يراه .لذا فإن الترتيب الفني أو الطبيعي للأحداث يجب أن لا يكون عائقاً في طريق حرية الروائي في عرض الأحداث ،فمن حقه أن يبدأ مراعياً الحس الزماني والمكاني لتطورها،ومن حقه أن يرتد ليبدأ من الماضي عن

طريق استرجاع الذكريات لربط المشاهد، وتوضيح الرؤية الفنية لها .[131]

إن البنية السردية تتحدد بإيقاع الزمن في فضاء المكان كما تتشكل بملامح أحداثها وطبيعة شخصياتها ومنطق العلاقات والقيم داخلها ونسيج سردها اللغوي، ثم أخيراً بدلالتها العامة النابعة من :تشابك وتضافر ووحدة هذه العناصر جميعا. [132]

لقد وفق الكاتب في الربط بين الزمان والمكان ،وتأكيد العلاقة بينهما وتشابكها في تسيير أحداث الرواية ،والانتقال عبرها دون قيود تفرض على حركته،مع مراعاة وحدة العمل الفني وتماسكه ،وقد يرجع السبب في ذلك إلى رغبة الروائي في الخروج على النمط التقليدي في ترتيب الأحداث وتسلسلها زمانياً ومكانياً لغاية فنية تتمثل في التركيز على الحدث وجعله بؤرة الاهتمام ،وتحويل انتباه المتلقي من متابعة التسلسل التقليدي وماذا بعد؟ إلى السببية والكيفية لماذا؟وكيف؟، وهذا يعطي الأحداث حركة وحيوية، ويثير خيال القارئ في انتقال الأحداث من الحاضر إلى الماضي ثم العودة من الماضي إلى الحاضر ثانية .[133] وعلى سبيل المثال يتحول الليل إلى هاجس قلق وخوف يطارد الفلسطينيين ،ويلقي بظلاله على بيت الراوي :"لم أدر ما الذي أيقظني أولاً ،أهو صوت الرضيع في حضن أمه ،أم صوت الرصاص المنهمر كالمطر في ليلة عاصفة ،نظرت إلى زوجتي نظرات خوف وتوجس ،فلمست ذاك الشيء في نظراتها ....رأيت أبي متكئاً ...ينفث بدخان لفافته بصمت وترقب ،...فوت يا رجل أنت وابنك خلي الليلة تمضى عخير ،جاء صوت أمي من الغرفة ضعيفاً منهكاً "[134] ويصبح الكامب (معسكر الاعتقال) رمزا للعداء ، فاللحظات الحاضرة تستعيد ذكريات الزمن الماضي لتؤكد ظلم الاحتلال وصلفه :"معتقلين حرمة الغلبان اللي شفته قبل شوي ... -يعني كل الضرب اللي سمعناه الليلة كان عليها .أومأ برأسه ومضى ،تبعته بنظراتي المشحونة بالأسئلة والهواجس ....تذكرت يوم أن عاد من المعتقل ....قفاه الذي يقابلني أعاد لي صورة ظهره المحفور بفعل الكرابيج التي انهالت عليه ...ونار الألم الذي يغرس أنيابه في كل موضع من جسده .....تساءلت حينها إن كانت ستلقى المصير ذاته وهل ستقوى على تحمل ذاك الجحيم ."[135]

تمكن الراوي – بصورة عامة – من جعل توظيفه للزمان والمكان مرنا ،حيث يسرح بخياله في لحظة ينعدم فيها الإحساس بالزمان أو المكان لمراجعة الذات، وطرح مجموعة من التساؤلات التي تعصف بذهنه ،أو تدور بخلده ،وتشكل هما ليس شخصيا بل عاما ليمكن سحبه على شريحة واسعة من أبناء الشعب الفلسطيني ،فالنظر للمكان يتغير بتغير الزمان :"عيدان البوص المحيطة بالحوش الذي يلفني ...تنعش النفس فيها إحساساً غريباً بالحياة، وربما بالأسى أحياناً ،خصوصاً حين تقتادني مرارة الأسئلة إلى سطوة الراهن الذي أتى بي إلى هنا،بعيداً عن الأهل و الولد ،لماذا تركنا (المبروكة)وجئنا إلى هنا ،أ من أجل المال ؟أم هرباً من الجوع والخوف هل عجزت (المبروكة)أن تظل صدرنا الحنون كما كانت من قبل ؟"[136]لم يعتمد الراوي في توظيفه للزمان والمكان على مراعاة الحس الزمني ،وترتيب الأحداث بحيث تنمو نموا طبيعيا ،بل يلعب بهما لعباً حراً ويميل إلى استخدام النقلات أو عرض عدد من المشاهد التي تكون في النهاية رواية متكاملة ،حيث ينتقل عبر مشاهد متعددة ،وفي أزمنة مختلفة ،ليبين طبيعة الصراع الحادث من قتل وتضييق واعتقال وتخريب ،كاشفاً أثر تلك الأحداث على نفسية أبناء الشعب الفلسطيني، ومبيناً التغير الطارئ ،وتردي الأحوال المعيشية ،والشعور بعدم وجود الأمن وانعكاساتها السلبية على الشعب ،فهو يتنقل

بين القرية والبيت، والشارع، والمدينة، والدكان، والكوبانية .....،أما على مستوى الزمان فهو يربط بين الحاضر والماضي ،وقد وفق في ربطه بين الزمان والمكان لتحقيق رؤيته الفنية .

أما على مستوى الشخصية فقد اختلف النقاد في نظرتهم للشخصية الروائية، فمنهم من جعلها مركزاً للأفكار، ومجالاً للمعاني التي تدور عليها الأحداث، " وبدونها تضحى الرواية ضرباً من الدعاية المباشرة، والوصف التقريري، والشعارات الجوفاء الخالية من المضمون الإنساني المؤثر في حركة الأحداث "[137] وأصبحت النظرة الشخصية في الرواية التقليدية كأنها كل شيء في الرواية، بحيث لا يمكن تصور رواية دون "طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها، إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها ،داخل العمل السردي"[138] وفي المقابل نجد بعض النقاد ينظر إلى الشخصية على أنها مجرد عنصر شكلي وتقنى للغة الروائية مثلها مثل الوصف والسرد والحوار،وأنه لم يعد ممكناً دراستها في نفسها ،بمعنى أنها شخص أو فرد له مشاعر ،وأحاسيس ،ونادى بعض الروائيين الجدد بضرورة التضئيل من شأن الشخصية والتقليص من دورها عبر النص الروائي ،إلى أن وجدنا(كافكا) يكتفي بإطلاق رقم على شخصية روايته "المحاكمة"[139] ولا يمكن لنا أن نخوض في مثل هذه الجدالات فكل ما يعنينا أن هناك علاقة وثيقة بين المكان والشخصيات التي تتحرك في إطاره .اعتمد الكاتب في الرواية محل الدراسة السرد باستخدام ضمير المتكلم ،ويبدوأن ذلك يهدف إلى "التحرك بين وجة نظره غير المدققة بما هو سارد،وبين العالم الذي يحكيه ،أو يحكي عنه ....ويرفض الراوية في مألوف العادة ،كل عودة إلى الوراء في مسار الزمن ،واضعاً نفسه في موقع يسمح له بالسرد ،وذلك باستخدام ما يمكن أن يطلق عليه (الحاضر الحكائي) أي أنه يتموقع في حاضر الحدث فيتحكم في مجرياته تحكماً شديداً [140]،أو أن طبيعة الحدث في الرواية، وارتباط الراوي به هو الذي فرض عليه هذا الاختيار .

لقد لعبت الشخصيات في الرواية محل الدراسة ،دوراً مهماً في الكشف عن الكثير من الدلالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ،وذلك من خلال تواجدها في الأماكن المختلفة ،فعلى سبيل المثال لا الحصر ،تعد شخصية الراوي الشخصية الرئيسة التي أسهمت في الكشف عن شخصيات الرواية من خلال تقديمها لها ،ومن هذه الشخصيات التي كان لها حضور بارز في الرواية :والد الراوي (أبو حسن):لقد شغلت هذه الشخصية حيزاً كبيراً في الرواية،حيث مثلت لنا دور الفلاح الوطني الحنون المحب " قالها أبي واندفع خارجاً ،لحقت به وانطلقنا نحو المقبرة ،...انكب أبي فوق الجثمان وبكى فأبكى من كانوا في المكان جميعا "[141] ودور الأب صاحب الكلمة الوحيدة في البيت :(لا تتعبي مخك يا ولية ....اسمعي الكلام ونفذي اللي بقلك عليه .

– حاضر يا خوي حاضر "[142]

ودور الكافل لأسر الشهداء "وديري بالك في ظرفين لدار عمي الشيخ إبراهيم"[143]

ودور الأب المعلم للجيل "هذه هربيا قال أبي :هذه الجية ...المجدل وهكذا دواليك القسطينة .... ازدود...."[144]

ودور الفلسطيني المقاوم :(عندها نظر إلي أبي وأشار إلى البندقية قائلاً خذها ودسها في كوم التبن "[145]،وكل هذه الأدوار مارسها من خلال دوره العام كفلاح مثابر يقاسي الويلات في سبيل الحصول على لقمة عيش ،شأنه شأن الكثير من الفلسطينيين " البلد ضاقت علينا يا حرمة وربنا قال: اسعوا في مناكبها " [146]

–مختار القرية :قدمه لنا الراوي كشخصية ايجابية

لها حضورها ودورها الفعال في القرية "لا تتعب حالك ...المهم أنها نفدت واللي مسكوها تكفلها المختار وروحت "[147]"اعتلى المختار المنبر، راح يخطب فينا بصوته الجهور ....تحدث عن الموت والحياة ...عن الدنيا والآخرة ...وعن الشهداء ودرجاتهم ...عن الشيخ إبراهيم وسيرته ،فبكينا "[148]"مدرسة ولا هيك مدرسة

-حي الله المختار ،ظل الموضوع في باله لحين ما أنجزه"[149]

-الأستاذ يوسف :مثل لنا شخصية جيل الشباب الواعي صاحب البصيرة الناقدة، الذي يوظف أمجاد الماضي لبعث الحاضر "على عكس الأستاذ يوسف الذي كان الحاضر همه وقوت يومه ،لم أسمعه بالمطلق يتحدث عن الماضي بأي شكل من الأشكال ،وإن تحدث رأى فيه حاضراً صنعه أهله ومضوا ولا يحق لنا أن نسلبه منهم ،أو ندعي الانتساب إليه طالما بقينا عاجزين عن مواكبته والبناء عليه "[150]

أما باقي الشخصيات فقد أتت أغلبها بلا أسماء أو معالم محددة ،وهي تعمل مساندة لشخصية الراوي، وتظهر في المواقف التي تحتاج إلى طرح وجهات نظر متعددة، أو في بعض المواقف التي لا يريد الراوي أن يدلي فيها برأي صريح ،أو لإظهار بعض سمات التأزم النفسي والفكري الذي يسيطر على شريحة من أبناء الشعب الفلسطيني .

ويعد الحدث من العناصر الرئيسة في تشكيل العمل الروائي ،ويعني الحدث اقتران فعل بزمن معين ،والتحرك في مكان محدد ،والحدث هو الذي يبعث في الرواية القوة والحركة والنشاط ،وهو المحرك للشخصيات التي تسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى ،حتى تؤدي إلى نتيجة مريحة ومقنعة تطمئن إليها النفس وتعكس منطق الكاتب ونظرته للحياة "[151] .يجد المتأمل للرواية محل الدراسة أنها تخلو من حدث رئيس ينمو ويتطور مع تدفق السرد، بل هي نتف متفرقة من الأحداث تنثال عبر خطوط الزمن من ذاكرة السارد، حيث تمكن الراوي من وضعنا في بؤرة الأحداث المتفرقة في روايته، من خلال الوصف للقرية، المدينة، الدكان، البيارة، الحافلة، المسجد، الشارع ..... وما يجري عليها من أحداث كشفت في مجملها عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للفلسطينيين في فترة الانتداب البريطاني وهكذا اتضح التكامل والترابط ومدى العلاقة بين المكان وبقية عناصر الرواية من زمان وشخصيات وأحداث وهو تكامل أسهم في بناء الرواية بناءً فنياً متماسكاً .

التقانات السردية ودورها في إبراز المكان

•تيار الوعي:

يعد تيار الوعي من التقانات الحديثة التي يستخدمها كثير من الروائيين في بناء رواياتهم ، بهدف تقديم "المحتوى الذهني والعمليات الذهنية عن طريق وصف المؤلف الواسع المعرفة لهذا العالم الذهني "[152] وكان لاستخدام تيار الوعي في الرواية أهمية كبيرة إذ إن هذه الطريقة " تتيح للكاتب أن يصور لنا الحياة كما تتصورها تلك الشخصية ،وأن يكشف لنا عن نظرة الشخصية إلى الشخصيات الأخرى وبالعكس،وهكذا يرسم لنا معالم الشخصية من خلال عالمها الشعوري واللا شعوري الخاص ،ومن خلال الأضواء التي تلقيها الشخصيات الأخرى عليها، وبهذا يقدم لنا صورة تنضح بالطرافة والألفة والصدق."[153]

وقد وفق الكاتب في توظيفه لهذه التقانة الأسلوبية الحديثة،حيث كشف من خلالها الصراعات الداخلية ،ورؤاه للشخصيات الأخرى،ونلمس ذلك عندما ذهب الراوي مع أبيه إلى حظيرة المواشي ،وقد أدت رؤيته للمواشي الشامية إلى استرجاع أمنية أمه، "توجهت برفقة أبي إلى إطعام الأغنام الموجودة في الحظيرة ،كانت بمعظمها شامية ....أذكر كم تمنت

أمي لو أن لها واحدة مثلها.....منذ ذلك التاريخ وهي تلح على أبي أن يقتني واحدة مثلها وفي كل مرة يعدها خيراً ،إلى أن فاض به الأمر ذات مرة فصاح بها غاضباً :فكينا من هالسيرة عاد ....هذا اللي كان ناقص أشتري معزة بحق مرة "[154] ورؤية الراوي لأمه بعد ما وضعت جنينها ،أدى به إلى استرجاع الحلم الذي رآه. "حذوت حذوه فلمست في نظراتها إعياء لا حدود له ،تذكرت حينها الحلم الذي مر بي قبل أيام ،جاءتني شاحبة كالحة ،على هذا النحو الذي أراه الآن ،لعلها كانت في شدة فجاءني طيفها مستغيثاً ،... ترى هل عرج على أبي أيضا أم أنه أثر السلامة وجاءني "[155] والخوف الذي أحاط بالراوية عندما دق الانجليز بابهم، جعله يتخيل المصير الذي سيواجه "للحظة خلتهم يدخلون علي مباشرة ويطلقون النار ،تصيبني الرصاصات في مقتل ،فأخر في مكاني صريعا ،فيتناهى إلى مسامعي صرخات أمي المفجوعة ، وعويل زوجتي التي انهارت إلى جانب طفلها ،صياح أبي الهستيري وعراكه مع الجنود الذين انهالوا عليه ضرباً بأعقاب البنادق ،حتى جعلوه كومة بلا حراك ،ثم تركوه على حاله ومضوا."[156] لقد استدعى هذا المشهد الذي تخيله في تلك اللحظات المخيفة، من الواقع المؤلم الذي مر ويمر به أبناء الشعب الفلسطيني ،فما حدث لغيره يمكن أن يحدث له ،ويربط الراوية من خلال هذه التقانة ،بين المدن والقرى الفلسطينية ،فالمأساة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني مأساة واحدة ،كشفت عن أصالة هذا الشعب وقوة تلاحمه وترابطه ،"خرجت يافا عن بكرة أبيها في وداع الشيخ الجليل ،بكته الجموع والنجوع ،فوجدتني أستعيد ذكرى جدي الشيخ إبراهيم يوم أن خرجنا في تشييع جنازته ."[157]

•الاستباق والتوقع :

وهو ذكر حدث قبل وقوعه والإخبار عنه ،أي الإشارة إلى أحداث تحدث لاحقاً دون الإخلال بمنطقية النص ،والتوقع هو القص الذي يقوم على التنبؤ بوقوع حدث معين بالمستقبل أو احتمال حدوثه ،مع الإشارة إلى الحاضر وأحياناً يمتزج التوقع بالاستباق، فيحققا نوعا من السرد الاستشرافي الذي يقدم فيه الحدث من موقعه في الزمن القادم ،ليحتل الراهن الآتي ،فيكون السرد بالنسبة للقارىء وكأنه استشراف لما سيأتي .[158]

وقد وظف الكاتب هذا النوع من السرد ،حيث توقع الراوي أن المرأة التي هربت ولم يعتقلها الإنجليز كانت زوجة الشيخ إبراهيم :"صحيح اللي سمعته يا عم ،

–صحيح صفية اتكفلها المختار وروحت

–أه صحيح ...على فكرة طلعت مستورة ما قرت عنك

–أنا قلبي حسّ من حينها ... من ساعة ما رد الباب قلت أنت ."[159] وتوقع والد الراوي بطرق الانجليز لباب بيته لذا أخبر ولده ماذا عليه أن يفعل: "واسمع يا حسين ،إذا الانجليز دقوا بابنا ارفع حالك وتدلى في دار عمك الشيخ إبراهيم .....وقع ضربات على بابنا عطل الحواس بداخلي ."[160]

وتوقع الأستاذ يوسف بضياع الأرض الفلسطينية وهذا ما حدث بالفعل :"–البلاد ضاعت يا خوي يا حسين .....اليوم أو بكرة راح تخلص الحرب اللي ما جانا منها غير النكبة .....ربنا يستر وما تطلع ضريبة الحرب من جلودنا ....

–صدقت يا أستاذ لما قلت من مدة يا خوفي للحرب تطلع من جلودنا ها هي طلعت من أرواحنا "[161]"هذه البلد ما ظل فيها قعود ....اليوم أو بكرة راح نطلع منها .....أنا متابع وعارف اللي ما انت عارفه."[162]

•الوصف:

الوصف أو الوقفة تقنية سردية تقوم على توقف للسرد أو الإبطاء في عرض الأحداث، حيث يبدو أن السرد قد توقف عن التنامي،تاركا المجال للسارد لكي يقدم المزيد من التفاصيل الجزئية ،[163] والوصف يعمل على إنتاج الملامح محددة ومفصلة ،وهو يوغل في دائرة المكانية،ويرتبط أحياناً بما تقع عليه الرؤية البصرية ،وقد وظف الكاتب هذه التقانة في أكثر من مكان في الرواية محل الدراسة،عاكساً من خلالها مشاعره وانفعالاته تجاه ما يرى ويشاهد ،نذكر على سبيل المثال وصفه للإشاعة التي انتشرت بين الناس: "سرت الإشاعة كالنار في الهشيم "[164] وقوله واصفاً القطار"كانت المرة الأولى في حياتي التي تطأ فيها قدماي هذا الوحش الممدد أمامي كثعبان طويل "[165]وقوله واصفاً جمال البيارة "تابعنا سيرنا بين أشجار البرتقال المنداه حباتها بقطر الندى وخيوط الشمس المتسللة من بين الأغصان والسحب التي تسعى جاهدة لحجبها، فتضفي عليها بريقا يحيلها إلى كرات ذهبية تسر الناظرين ."[166]وقوله رافضاً إجرام اليهود والمجازر التي يرتكبونها "أي خيرومبارح صار الدم للركب"[167]ووصفه لحالة الضيق التي ألمت به وهو بعيداً عن أهله "كل الخواطر والهواجس تداعت علي متقاطرة كحبات المسبحة "[168] وحالة الخوف التي أصابت والدة "وقعت ضربات على أبواب قريبة جعلته يهب نحوي كالملدوغ"[169] ووصفه لاكتظاظ الشوارع بالناس الذين يذهبون إلى مقام النبي روبين "سيل متدفق يزحف من قلب المدينة"[170] ووصفه لحال الوحدة والضيق التي ألمت به عند فراق والده له "جلت ببصري في المكان وكاني أراه للمرة الأولى فشعرت وكأنه يتقلص ليصبح بحجم علبة كبريت "[171]

•الحذف :

ويسمى عند بعض النقاد القفز أو الثغرة [172]وهو الذي يتم فيه إغفال أحداث لابد أن تكون وقعت، لكنها لاتذكر في النص[173] والحذف هو أقصى سرعة ممكنة للسرد،حيث يتم تخطي لحظات حكائية دون الاشارة لما حدث فيها ،وكأنها ليست جزءاً من المتن الحكائي .

لجأ الراوي في الرواية محل الدراسة إلى الحذف تاركا مجالاً للقارئ في تخيل الأحداث، ومن ذلك قوله "جموع من الناس تزحف لاستقبال الجثمان العائد متلفعا بالدماء "[174]

لم يوضح لنا الراوي من صاحب هذا الجثمان،ومن قتله ؟،وكيف قتل ؟،وقوله: "سعيد مات ...قتلوه اليهود قبل شهرين ...الله يرحمك يا سعيد... كنت سيد الرجال "[175]لم يخبرنا الراوي تفاصيل حول هذه الشخصية ،وقوله"نظرت إلى يده اليمنى فوجدت بقعة من الدم تغطي مساحة من ذراعه"[176] لم يعلمنا الراوي بتفاصيل العملية التي أصيب فيها والده ومن الذي أطلق عيه النار؟ومن الذين كانوا معه ؟ وما المهمة التي قاموا بها؟ وقوله "كل اليهود اللي دبوا البلد"[177]لم يعلمنا الراوي متى؟ وكيف؟وأين؟وقوله "لدرجة بت معهاأعرف تفاصيل الحرب بكل حيثياتها من كثرة حديثه واهتمامه بها "[178]ما هذه التفاصيل لم يخبرنا الراوي شيئاً عنها .

•الحوار:

للحوار أهمية بنائية في الراوية ،ويشير جبرا إبراهيم جبرا إلى ذلك ، فهو يقول: " إن الحوار في أغلب الاحيان عندما تبني حدثك من خلاله يساعدك في أن تجعل الحركة مرئية في ذهن القاريء [179] ويعتمد الحوار على تعدد الشخصيات ،حيث يظهر أكثر من صورة أو أكثر من شخصية متحدثة في الرواية ،ويتجسد الحوار من خلال الكلام الملفوظ المتبادل بين شخصيات الرواية ،وتقع عليه مسؤولية

نقل حركة الحدث من نقطة لأخرى داخل النص ،وهي عملية صعبة تتحول من خلالها الفكرة إلى جزء فاعل له صيغة عمل داخلية نابعة من إجراءات الحد ث وتفاصيله [180] ويبرز من خلال الحوار تبادل الأفكار من خلال ما يشبه المطارحات التي تعتمد على السؤال والجواب في إبداء الرأي ،لذا يعد الحوار من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم شخصياته ،"وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها بالبعض الآخر .....والحوار يستعمل أحياناً في تطور الحوادث، واستحضار الحلقات المفقودة منها ،إلا أن عمله الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة ،وتصورها الباطن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى ،وهو ما يسمى عادة بالبوح أو بالاعتراف."[181]

لقد أسهم الحوار في الرواية محل الدراسة في نمو الأحداث،والكشف عن الرؤى المختلفة لشخصيات الرواية ،تجاه ما يجري حولها من أحداث ،وعن طبائع هذه الشخصيات وسماتها،فعلى سبيل المثال يكشف لنا الحوار الدائر بين أبي حسين وزوجته عن شخصيته المتسلطة في البيت:"يا رجل أكل واحد بكفي اتنين

-لاتتعبي مخك يا ولية ...اسمعي الكلام ونفذي اللي بقلك عليه

-حاضر يا خوي حاضر"[182]

ويكشف الحوار في مكان آخر عن توغل اليهود في الأرض الفلسطينية:

"-لكن ما في كوبنيات في المنطقة __قلت متعجبا__

-لا يا بني....الكوبنيات في كل مكان وقاعدة تنبت مثل الفطر."[183]

كما وكشف عن حالة اليأس التي وصل إليها البعض جراء تردي الأوضاع السياسية :"- اسف يا عمي ،لكن في موضوع شدني شواي

-موضوعنا واحد وما هو باين له حل واللي بنعيده بنزيده

-لا يا عمي الجريدة بتقول بالبنط العريض (اللجنة العربية تدعو الوجهاء في يافا لاجتماع عاجل يوم 24\فبراير1933 ليتم فيه تدارس الوضع الناشىء عن هجرة اليهود غير الشرعية الى فلسطين وفضح دور الانجليز المتواطيء في ذلك

-كلام كلو كلام ما بينفع لا مع اليهود ولا مع الانجليز"[184]

•تضمين التراث:

عول الكاتب على المثل الشعبي لتكثيف الدلالة كلما استدعى المقام ذلك ،حيث ينساب على لسان بعض شخوصه بتلقائية تنم عن خبرة في تكثيف المعاني ،فعلىسبيل المثال عندما أرادت أن تضع زوجة أبو حسين مولوداً طلبت منه أن لا يذهب للعمل ويبقى جنبها فوظف لها المثل ليكون جواباً ملائماً لحالتها. "يا رجل أنا ع راس ليلتي ،يعني ألد وما في حدا بالدار يقف معنا ...

-ما راح يصير إلا كل خير ...الواحدة منكن مثل القطط تزط وهي ماشية "[185] وعندما طلب منه ولده أن يعفيه من الاستيقاظ لأنه كان مرهقا ،أجابه بما يلائم حالته "تعبان قلتها بإعياء واضح

-الشاب إذا كان تعبان كذبه وإذا كان جوعان صدقه "[186] وعند سؤاله زوجته عن البط أجابته بما يتناسب مع سؤاله :"قال على إثرها مخاطبا أمي: طب وين البط يا حليمة وإلا البعد جفا

-لو صبر القاتل ع المقتول ،لمات لحاله ،ردت أمي [187]

وفي معرض إصراره على أن يدفع أجرة لأخ الراوي .ومحاولة الراوي ثنيه عن ذلك أجاب أبو درويش بمثل يناسب المقام "وأخوك لازم يكون له أجره

-له يا عمي أنت خيرك وفضلك علينا

-الفضل لله وحده،لكن الحق بالدرهم والكرم بالقنطار [188] وعندما فرض الانجليز منع التجوال

فرحت زوجة أبي حسين لأن ذلك سيجبر زوجها على المكوث معها في البيت

-"يخلف على الإنجليزاللي ضبوا الناس من الشوارع،صحيح مصائب قوم عند قوم فوائد ،يزمجر أبي ويرد[189] وفي معرض رد أحد الجالسين على الاستاذ يوسف الذي أخبرهم عن تفجير اليهود لفندق الملك داوود "يا رجل سألناك عن الحرب مش عن الانجليز واليهود ،فخار لما يكسر بعضه "[190] ومن المقولات الشعبية التي انتشرت على ألسنة الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني ،الإكثار من حلف يمين الطلاق ،فعندما أصر والد الراوي على رفض دعوة إدريس أجابه "أصر أبي على رفض الدعوة متذرعا بضيق الوقت .

- طب علي الطلاق بالثلاثة إن ما رحتم معي اليوم ،عمري ما أكلمكم" [191]

وأصر إدريس على مبيت الراوي عنده"طب علي الطلاق بالثلاثة اللي ما هي سامعة ،غير تنام عندي طول ما أهلك مش هان "[192] وعندما أجبر أبو حسين إدريس أن يأخذ بعض الفواكه لأولاده قال أبو حسين "طب علي الطلاق من حليمة إن ما أخذتهن عمري ما أكلمك "[193] ومن المعتقدات التي يؤمن بها البعض أن الميت يحس بالأحياء ويعلم بأحوالهم ،"الليلة جاني الشيخ إبراهيم بالحلم وطلب مني يشوف بهية ،ومن حينها ما جاني نوم "[194] وأن الرجل الصالح إذا تفل على الجرح فإنه يبرأ ،"فسأله سالم إن كان يشعر بشيء ما، عندها ابتسم وقال معقباً :الله يرحمك يا مبروك لو شافها لتفل عليها ومشى"[195]

الخـــــاتـــــمة

خلص البحث إلى نتائج عديدة منها :

- عالجت الرواية مرحلة مهمة من مراحل القضية الفلسطينية وهي مرحلة الانتداب البريطاني لفلسطين .

- كشفت الرواية عن عمق التلاحم بين أبناء الشعب الفلسطيني ،وقوة صبرهم، والتضحيات الكبيرة التي قدموها في صراعهم مع الانتداب البريطاني ،والاحتلال الصهيوني .

- أبرزت الدعم الكبير الذي قدمه الانتداب البريطاني للصهاينة لتمكينهم من احتلال أرض فلسطين.

- كشف الكاتب من خلال الأمكنة الموزعة في روايته عن اختلاف وجهة النظر السياسية لأبناء الشعب الفلسطيني تجاه ما يجري حولهم من أحداث.

- أظهر الكاتب من خلال روايته بعض المفاهيم والمعتقدات الاجتماعية السائدة سواء في القرية أو المدينة

- يتضح لنا من خلال الأحداث التي تعرضت لها الرواية تخاذل العرب ،بل والعالم بأسره عن نصرة الحق الفلسطيني

- أظهرت الرواية وجود فوارق فكرية بين أبناء الشعب الفلسطيني في نظرتهم للأحداث وتقيمهم لها.

- كشفت عن دور المثقفين المهم في توعية الجيل ،وقيادة الجماهير نحو التغيير

- كشفت عن بعض ملامح العقلية الصهيونية الأمنية في سبيل تحقيق احتلالها لأرض فلسطين سواء في اختيارها لمواقع الكوبنيات أو افتعالها لبعض الحوادث لتنعكس إيجابا على مخططهم الاستعماري.

- عدم اهتمام الكاتب بإظهار تفاصيل الأحداث بل كان ذكره لها عابرا ،ولعل ذلك يعود لعدم معايشته تلك الفترة .

- للمكان حضور واضح وواسع في رواية (سوق الدير) مما جعلها من الروايات التي تعول على المكان وتوليه أهمية خاصة .

- عكس الكاتب من خلال تصوره للمكان ما حفلت به الأرض الفلسطينية من أحداث سياسية واجتماعية في عهد الانتداب البريطاني وتخطيط الصهاينة

لاحتلال الأرض .

– تنوعت صور المكان وعناصره فكانت القرية والمدينة والجرن والبيت والمسجد والشارع والسوق والحارة والكوبانية والمدرسة والدكان وكل ذلك أسهم في تشكيل الحدث والوعي وتفاعل مع عناصر بناء الرواية .

– كشفت الرواية عن حب الفلسطيني الشديد لأرضه وتجذره بها ،كما وأظهرت سمة تميز بها الشعب الفلسطيني وهي الاستمرارية والتجدد،فكل الأجيال أسهمت وستسهم في الدفاع عن الأرض والعمل على استردادها.

– كان للمكان في رواية (سوق الدير) ارتباط وثيق وعلاقات متفاعلة بالزمان والشخصيات والأحداث ، مما يؤكد الدور المهم الذي لعبه المكان في بناء العمل الروائي وتكامل عناصره .

– أسهمت شخصيات الرواية في إبراز الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، الذي عاشه الشعب الفلسطيني في تلك الفترة.

– استخدم الكاتب عددا من تقنيات السردكتيارالوعي، والاستباق، والتوقع، والوصف، والحذف، والحوار، وتضمين التراث، وقد أسهمت هذه التقانات في إبراز دور المكان المهم في الرواية .

– تعدد مستويات السرد، وتعدد تقاناته أضفى على الرواية كثيرا من السمات التي تزيدها تماسكا وفنية.

– إن اتكاء الكاتب على الاسترجاع والتداعي، أسهم في جعل المتلقي في حركة دائبة إلى الامام والخلف، وإلى السطح، وإلى العمق، ليتمكن من ملاحقة الأحداث، والإمساك بالخيط الذي يربط بينها.

الهوامش والمراجع

1.مجمع اللغة العربية :المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية ،ط 4 ،2004.مادة (ك ، و ، ن)

2.عبد الحميد المحادين ،جدلية المكان والزمان والانسان في الرواية الخليجية ،المؤسسة العربية للدراسات وألنشر ،ط 1،بيروت ،2001،ص 20

3.فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، دراسة نقدية، رسالة ماجيستير منشورة . فرادايس للنشر والتوزيع ،ط1، 2003. ص63

4.إبراهيم جاد الله، المكان في مجموعة "خوذة ونورس وحيد" دراسة نقدية على موقع القصة العربية ،على شبكة الانترنت بتاريخ 10\12\2004

5.سمر روحي الفيصل، الرواية العربية – البناء والرؤيا (مقاربات نقدية) منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2003، نسخة الكترونية، ص75.

6.غاستون باشلار،جمالية المكان ترجمة غالب هلسا، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.1987. ص6

7.د.محمد بن سليمان القويفلي، (المكان الروائي – روايات كنفاني نموذجا) مجلة جامعة الملك سعود، م5 ، الآداب (2)1413هـ .394.

8.عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة ، 1982، ص59.

–9حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي،المركز الثقافي العربي ،بيروت، 1990، ص 29

–10شاكر النابلسي ،جماليات المكان في الرواية العربية ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت 1994،ص 6-5

–11ميشال بوتر،بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، ط3، منشورات عويدات، بيروت،1986، ص 55

–12حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي ،م.س ،ص 29

–13إبراهيم عواد، جهود جبرا إبراهيم جبرا النقدية، كلية التربية جامعة عين شمس، رسالة دكتوراة، مخطوطة، 2004 ، ص 194

–14عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،الكويت،1998،ص 155

–15عبد اللطيف الحديدي ،الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي ،ط1"دار المعرفة مصر ،1996،ص 189

–16عبد الرحمن حنيف وعبد الواحد لؤلؤة وفيصل رباح وغيرهم،القلق وتمجيد الحياة،ط1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،1995،ص 164

17.سيزا أحمد ،بناء الرواية،دار التنوير ،بيروت،1985،ص 74
18.عبد المالم مرتاض ،في نظرية الرواية ،م.س،ص143
19.غالب هلسا ،المكان في الرواية العربية ،دارابن هانيء ،دمشق ،1989،ص9-8
20.شاكر عبد الحميد،الحلم والرمز والاسطورة،الهيئة العربية العامة للكتاب،القاهرة،1998،ص303
21.محمد نصار ،"سوق الدير " ط 1 ،2007،ص 5
22.السابق ص 6
23. السابق ص10
24.السابق ص11
25.جبرا إبراهيم جبرا ،أقنعة الحقيقة وأقنعة الخيال ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،1992،ص88-87
26.علي عودة ،الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية ،ط2 ،مكتبة دار المنارة غزة،1997،ص198
27.محمد نصار "سوق الدير "م.س.ص،ص19
28.السابق ص 117
29.السابق ص5
30.السابق ص10
31.السابق ص10
32.صلاح صالح ،قضايا ألادب الروائي في ألادب المعاصر ،ط1،سلسة دراسات ثقافية عربية دارلشرقيات للتوزيع والنشر ،القاهرة 1997،ص 136
33.عبد الصمد زايد ،المكان في الرواية العربية ،الصورة والدلالة ،ط1،دار محمد علي ،تونس 2003،ص 16 17-
34.السابق ص49
35.السابق ص263
36.صلاح صالح ،قضايا المكان الروائي ،م.س ،ص83
37.فهد حسين ،المكان في الرواية البحرينية ،م.س،ص 169
38.صلاح صالح،قضايا المكان الروائي م.س ص 136
39.السابق ص83
40.رينيه ويليك وأوستن ورين،نظرية الأدب،تر: محي الدين صبحي ،ط2،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت 1981،ص231
41.شاكر النابلسي ،جماليات المكان ،م.س،ص 36
42.محمد نصار "سوق الدير"م.س،ص11
43.السابق ص13-12
44.السابق ص14-13
45.السابق ص 14
46.السابق ص 105
47.السابق ص 144
48. السابق ص 194
49.السابق ص 21
50.السابق ص 25-24
51.السابق ص81-80
52.السابق ص101
53.السابق ص 102
54.السابق ص107-106
55.السابق ص108
56.السابق ص168
57.السابق ص171
58.السابق ص34
59.السابق ص105
60.السابق ص168
61.السابق ص17
62.السابق ص42
63.السابق ص102
64.السابق ص24
65.السابق ص76
66.السابق ص102
67.السابق ص103
68.السابق ص112
69.السابق ص 7
70.السابق ص88
71.السابق ص77
72.السابق ص95
73.السابق ص140
74.السابق ص55
75.السابق ص5
76.السابق ص5
77.السابق ص8
78.السابق ص73
79.السابق ص89-88
80.السابق ص95
81.السابق ص140
82.السابق ص166
83.السابق ص188
84.السابق ص125-120
85.السابق ص 194
86.عيسى الحسني ،دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني،دار جرير للنشر والتوزيع ،عمان 2006،ص 236
87.عدنان عثمان الجواربش،حركة التجريب في الرواية الفلسطينية من الستينات حتى 1995،ط1،الخليل 2003،ص

83
88.محمد نصار ،"سوق الدير"م.س،ص21
89.السابق ص24
90.السابق ص26-25
91.السابق ص45
92.السابق ص46
93.السابق ص46
94.السابق ص48
95.السابق ص52
96.السابق ص52
97.السابق ص46
98.السابق ص53
99.السابق ص54
100.السابق ص17
101.السابق ص18
102.السابق ص29
103.السابق ص45
104.السابق ص34-30
105.السابق ص68
106.السابق ص24-23
107.السابق ص27
108.السابق ص56
109.السابق ص57
110.السابق ص44
111.السابق ص27
112.السابق ص77
113.السابق ص110-109
114.السابق ص138
115.السابق ص138
116.السابق ص60-59
117.السابق ص8
118.السابق ص67
119.السابق ص186
120.السابق ص40
121.السابق ص40
122.السابق ص78
123.السابق ص93
124.السابق ص115
125.السابق ص141
126.السابق ص168
127.السابق ص175-174
128.السابق ص175
129.السابق ص175
130.السابق:ص198
131.عبد الفتاح عثمان،بناء الرواية ،م.س،ص284
132.سيزا أحمد، بناء الرواية ،م.س،ص76
133.عبد الفتاح عثمان،بناء الرواية ،م.س ص 292
134.محمد نصار (سوق الدير)م.س،ص38
135.السابق ص41-40
136.السابق ص76
137.عبد الفتاح عثمان،بناء الرواية ،م.س،ص 107
138.عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ،م.س ص 86
139.السابق ص 87
140.عبد المالك مرتاض،م.س،94
141.محمد نصار "سوق الدير"م.س،ص 7
142.السابق ص 11
143.السابق ص 11
144.السابق ص 18
145.السابق ص 52
146.السابق ص 11
147.السابق ص 41
148.السابق ص 88
149.السابق ص 186
150.السابق ص 103
151.برنارم دي فوتو،"عالم القصة" ترجمة محمد مصطفى هدارة ،عالم الكتب،القاهرة،1974،ص 54
152.روبرت همفرري ،تيار الوعي في الرواية الحديثة ،تح محمود الربيعي ،ط1 ،دار المعارف القاهرة،1974،ص54
153.محمد نجم،فن القصة،ط1،دار صادر،بيروت،دار الشروق ،عمان 1996،ص70-69
154.محمد نصار "سوق الدير"م.س،ص23
155.السابق ص36-35
156.السابق ص 108
157.السابق ص 114
158.حماد أبو شاويش وآخرون، تحليل الخطاب الروائي ،ط1،منشورات الملتقى الفكري ،غزة 2006،ص 47
159.محمد نصار "سوق الدير"م.س،ص43
160.السابق ص108-107
161.السابق ص197-184
162.السابق ص197
163.بوطيب،عبد العالي،مفهوم الرواية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف(مجلة فصول)مج 16،عدد4،القاهرة،1993،ص140
164.محمد نصار "سوق الدير"م.س ص 8

165.السابق ص17
166.السابق ص21
167.السابق ص45
168.السابق ص76
169.السابق ص107
170.السابق ص120
171.السابق ص200
172.سيزا أحمد، بناء الرواية ،م.س
173.صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص،دار المعرفة،القاهرة،1996،ص 303
174.محمد نصار "سوق الدير"م.س ص 5
175.السابق ص48
176.السابق ص91
177.السابق ص184
178.السابق ص174
179.ماجد السامراتي،حوار في دوافع الابداع ،دار المعارف للطباعة والنشر،د.ت،ص 242-241عرب
180.فاتح عبد السلام ،الحوار القصصي ،تقنياته وعلاقاته بالسرد،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،1999،ص29
181.محمد نجم،فن القصة،م.س،ص97-96
182.محمد نصار "سوق الدير"م.س ص 11
183.السابق ص24
184.السابق ص78
185.السابق ص16
186.السابق ص25
187.السابق ص86
188.السابق ص126
189.السابق ص166
190.السابق ص175
191.السابق ص59
192.السابق ص75
193.السابق ص97
194.السابق ص85
195.السابق ص53